أحاديثُ تقارُبِ الزَّمَانِ
بين دلالة اللغة، وفهْم الشُّرَّاح،
وأسرار الإعجاز

الدكتور/مُحَمَّد إبراهيم العَشْمَاوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد
في جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على النبي الملهَم، والرسول المعلَّم، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فلم أزل منذ صباي موقنا بأن هذا الدين قادر على مسايرة الزمان والمكان والإنسان، لا يجمُد عند حد، ولا تقف مسيرته عند أحد، بل كلما ازداد المرء فيه إمعانا ؛كلما ازداد إشراقا ولمعانا، بحر لا ينفَد، ومَعين لا ينضَب، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه .

وقد قُسم لكل جيل حظه من النظر فيه، يفهم منه ما شاء الله أن يفهم، حتى كأنه في كل جيل يُقرأ لأول مرة، وكأنه قد نزل يخاطب هذا الجيل دون غيره، وهذا من أمارات الكمال فيه، فهو علَم لدين الله التام، وكلمته الخاتمة، فلو وقف عند جيل دون جيل؛ لكان ذلك نقصا في دين شأنه التمام والختام.

ولم أزل مُولَعا بالبحث فيما يثبت إعجاز هذا الدين وعظمته وأنه من عند الله، وتقديمه للناس لتحقيق هذا الغرض بكل سبيل ممكن؛ (حتَّى يتبيَّن لهم أنَّهُ الحقُّ).

ومن تلك السبل التي تثبت إعجاز هذا الدين: ما يُعرف بالإعجاز العلمي الذي أُولع به المتأخرون في عصر العلم، وهو أحد الوجوه الدالة على عالمية هذا الدين، وخطابه المتجدد لكل أنواع الجنس البشري في كل زمان ومكان، يستوي في ذلك: أهل البوادي، ورُوَّاد الفضاء!!

وأعترف بأنني لست من أهل التخصص في هذا الشأن، ولا أنا من فرسان هذا الميدان، بَيْدَ أنني حاولت قدر جهدي أن أقدم شيئا أزعم أنه ربما كانت فيه بعض الفوائد العلمية الجديدة، مستعينا في ذلك بأدوات البحث العلمي، بعيدا عن اللغة الموغلة في

التخصص، مختارا من عبارات أهلها ما هو أقرب إلى الفهم، فما أكتب إلا ما أفهمه، ويفهمه الخاصة والعامة؛ قصدا لعموم الفائدة، فهذه وظيفة العلم، وحسبي هذه النية.

ولم تزل نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يَفيضان بالإعجاز في كل جانب من جوانب العلم والحياة، ويُذهلان بإعجازهما عقول المادِّيين والملاحدة وغيرهم، ممن لا يؤمنون بهذا الدين، أو يشككون فيه، حتى خضعت لهما عقول صَلِفة لم تكن تخضع لولا تجلي هذا الإعجاز!

وكان من جملة هذا: حديث السنة النبوية عن ما يسمى بـ(تقارب الزمان)، وقد اخترت هذا العنوان للكتابة فيه:(**أحاديث تقارب الزمان بين دلالة اللغة، وفهم الشراح، وأسرار الإعجاز**).

الدراسات السابقة:

ولم أقف فيما اطلعت عليه – وأنا بصدد الكتابة في هذا الموضوع – على دراسة جامعة تناولته على هذا النحو الذي تناولته، حتى الذين كتبوا في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة دراسات متخصصة من أهل الشريعة؛ كيوسف الحاج أحمد، والدكتور صالح رضا، وغيرهما؛ لم يتعرضوا للكلام فيه، ومن تكلم منهم عن الإعجاز الفلكي، لم يتكلم عن الإعجاز النفسي، وإنما هي إشارات متناثرة هنا وهناك في كلام المعْنيِّين بالإعجاز العلمي، من أمثال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم، والدكتور زغلول النجار، وعلى بعض المواقع والمنتديات العلمية على شبكة المعلومات، فرأيت أن أتناول البحث فيه على هذا النحو، جمعا بين القديم والحديث، ومزاوجة بين مُعطَيات العلم الشرعي واللغوي من جهة، ومُعطَيات الإعجاز العلمي من جهة أخرى، من خلال حديث السنة النبوية عن هذا الموضوع.

منهج البحث:

وقد سلكت في البحث أولا المنهج الاستقرائي، سواء فيما يتعلق بالنصوص الحديثية الواردة في تقارب الزمان، أو نصوص أئمة اللغة، أو شراح الحديث، أو الإعجازيين، ثم

أتبعته بالمنهج التحليلي لفهم هذه النصوص والمقارنة بينها ونقدها والتعقيب عليها واستخلاص النتائج منها.

وأما خطة البحث: فقد قسمتها إلى: مقدمة، وأربعة أفكار رئيسة – حسبما يتضح من عنوانه – وهي:

أولا: الأحاديث التي وقع فيها الكلام عن تقارب الزمان.

ثانيا: مفهوم تقارب الزمان في لغة العرب.

ثالثا: المراد من تقارب الزمان في الحديث الشريف في ضوء فهم شُرَّاحه.

رابعا: أسرار الإعجاز في تقارب الزمان.

ثم ختمتها بذكر أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يفتح لنا أبواب العلم والعمل، وأن يجنبنا الخطأ والزلل، وصلى الله على خير مرسَل، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

أولا: الأحاديث التي وقع فيها الكلام عن تقارب الزمان

من خلال البحث الاستقرائي في كتب السنة النبوية نجد أنها قد تحدثت عن تقارب الزمان في موضعين، أو موضوعين، أو بابين؛ بحسب عبارات أهل الحديث.
أولهما: الرؤيا، وثانيهما: الفتن وعلامات الساعة.

فأما الرؤيا

فقد تحدثت السنة النبوية عن أن رؤيا المسلم تكون أقرب إلى الصدق عند اقتراب الزمان، وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة (توفي:٥٧هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا المؤْمِنِ تَكْذِبُ".(١).
ولفظ مسلم(توفي:٢٦١هـ):"إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ".(٢).

وأما الفتن وعلامات الساعة

فقد تحدثت السنة النبوية عن أن تقارب الزمان – ضمن أمور أخرى – سوف يكون من فتن آخر الزمان، وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة(توفي:٥٧هـ) رضي الله عنه أيضا أنه قال: قال رسول الله ﷺ:" يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: القَتْلُ القَتْلُ".(٣).

---

١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام (٢٥٧٤/٦) رقم (٦٦١٤)، صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب بدون ترجمة (١٧٧٣/٤) رقم٦ – (٢٢٦٣) من حديث ابن سيرين عن أبي هريرة، واللفظ للبخاري.
٢) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب بدون ترجمة (١٧٧٣/٤) رقم٦ – (٢٢٦٣).
٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات (٢٢٤٥/٥) رقم (٥٦٩٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٦/٤) رقم ١١ م – (١٥٧) من حديث حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به، واللفظ للبخاري.
=

وفي لفظ للبخاري(توفي:٢٥٦هـ)ما يدل صراحة على أن هذه الأمور وغيرها إنما هي من علامات الساعة، وهو قوله:"لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ، وَهُوَ: القَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ".(١).

وفي لفظ له أيضا:"لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ، آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ، وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا".(٢).

كما ورد ما يدل على أن اقتراب الزمان هو العلامة الجُلَّى لوقوع غيرها من العلامات، فقد روى الطبراني(توفي:٣٦٠هـ) في الأوسط، والحاكم(توفي:٤٠٥هـ) في المستدرك من حديث أبي ذر(توفي:٣٢هـ)رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:"إِذَا

= -وأخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن (٢٥٩٠/٦) رقم (٦٦٥٢)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٦/٤) رقم ١٢- (١٥٧) من حديث سعيد المقبُري عن أبي هريرة.

١) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات (٣٥٠/١) رقم (٩٨٩) من حديث الأعرج عن أبي هريرة.

٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب خروج النار (٢٦٠٥/٦) رقم (٦٧٠٤)من حديث الأعرج عن أبي هريرة.

اقْتَرَبَ الزَّمَانُ كَثُرَ لُبْسُ الطَّيَالِسَةِ[1]، وَكَثُرَتِ التِّجَارَةُ، وَكَثُرَ الْمَالُ، وَعَظُمَ رَبُّ الْمَالِ بِمَالِهِ، وَكَثُرَتِ الْفَاحِشَةُ، وَكَانَتْ إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ، وَكَثُرَ النِّسَاءُ، وَجَارَ السُّلْطَانُ، وَطُفِّفَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَيُرَبِّي الرَّجُلُ جِرْوَ كَلْبٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُرَبِّيَ وَلَدًا لَهُ، وَلاَ يُوَقَّرُ كَبِيرٌ، وَلاَ يُرْحَمُ صَغِيرٌ وَيَكْثُرُ أَوْلاَدُ الزِّنَا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْشَى الْمَرْأَةَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَيَقُولُ أَمْثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ: لَوِ اعْتَزَلْتُمَا عَنِ الطَّرِيقِ، وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذِّئَابِ، أَمْثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمُدَاهِنُ".[2].

-وروى نُعيم بن حماد(توفي:٢٨٨هـ) في الفتن من حديث أبي هريرة(توفي:٥٧هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ أَنَاخَ بِكُمُ الشُّرْفُ الْجُونُ، فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ".[3].

-وروى الرامَهُرْمُزِي(توفي:٣٦٠هـ)في أمثال الحديث، والقُضاعي (توفي:٤٥٤هـ) في مسند الشهاب، والديلمي(توفي:٥٠٩هـ) في مسند الفردوس عن أبي هريرة(توفي:٥٧هـ)

---

١) "الطيالسة"، جمع: "الطَّيْلَسَانُ"، وهو تَعْرِيبُ: "تالشان، وَهُوَ مِنْ لِبَاسِ الْعَجَمِ، مُدَوَّرٌ، أَسْوَدُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الشَّتْمِ: "يَا ابْنَ الطَّيْلَسَانِ" يُرَادُ: أَنَّك أَعْجَمِيٌّ". المغرب في ترتيب المعرب (٢٣/٢).

قلت: ولعله إشارة إلى كثرة حملات الاستغراب المسعورة التي ابتلي بها أبناء المسلمين، في الفكر والاقتصاد والسياسة والاجتماع وشتى مناحي الحياة!

٢) المعجم الأوسط (١٢٦/٥) رقم (٤٨٦٠)، المستدرك على الصحيحين، كتاب المناقب (٣٤٣/٣)وهذا لفظ الحاكم، وقال: "هذا حديث تفرد به سيف بن مسكين عن المبارك بن فضالة، والمبارك بن فضالة ثقة". وقال الذهبي في التلخيص: "سيف بن مسكين الأسواري واهٍ". وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٥/٧) بسيف هذا.

٣) الفتن لنعيم بن حماد (٢٨/١) رقم (٦)، وعزاه في الكنز (٢٢٨/١٤) رقم (٣٨٥٠٥) إلى الطبراني، وفيه رِشْدين بن سعد، روى عن ابن لهيعة، ورشدين ضعيف، وابن لهيعة صدوق اختلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعض شيء مقرون. اهـ. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٣١٩)رقم(٣٥٦٣).

قال العسكري: "الشرفُ" هَا هُنَا:جمع "شَارِف"، وَهِي الناقةُ الْمُسِنَّة، وهم يُشَبِّهُون الحربَ والفِتَنَ بهَا. "والجونُ السُّود" هَا هُنَا. فأَرادَ ﷺ فِتْنَةً أَو حَرْبًا. هَكَذَا رَوَاهُ أَكثر أَصحابِ الحَدِيث. وَمِمَّا عجبْتُ مِنْهُ أَن الْقُتَيْبِيّ رَوَاهُ: "أَتَتْكُم الشُّرْق الْجُونُ". بِالْقَافِ والراءُ سَاكِنة. وَفَسرهُ فَقَالَ: أُمور تَأْتِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ. وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ جَاءَ من ناحيةِ المشرقِ فَهُوَ شارِقٌ وشُرْق". تصحيفات المحدثين (٣٢٤/١).

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ انْتَقَى الْمَوْتُ خِيَارَ أُمَّتِي كَمَا يَنْتَقِي أَحَدُكُمْ خِيَارَ الرُّطَبِ مِنَ الطَّبَقِ".[1].

هذه موارد اللفظة كما جاءت في كتب السنة[2]، وقد وقع في بعض الأحاديث الأخرى بلفظ: (اقتراب الساعة)، ولا حاجة بنا إلى إيرادها لاختلاف دلالة اللفظين، فإن لفظ: (اقتراب الساعة) لا يحتمل إلا معنى واحدا هو المتبادر إلى الذهن، وهو اقتراب القيامة، بخلاف لفظ: (تقارَب أو اقترَب الزمان)؛ فإنه محتمل لأكثر من معنى، لاسيما الأحاديث الناصَّة على أنه: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان)؛ فإنه يبعد تفسيره بقرب قيام الساعة، إذ يصير المعنى: (لا تقوم الساعة حتى يقترب وقت قيام الساعة)، وهو قليل الفائدة، وقد نبه عليه بعض الشراح كما سيأتي، فتعين أن يكون المعنى مغايرا لصدر الكلام حتى يأتي بجديد، ومن جملة هذا: المعنى العلمي المعجز الذي نحن بصدد الحديث عنه، على ما سيسفر عنه وجه البحث إن شاء الله تعالى.

---

١) أمثال الحديث للرامهرمزي (ص: ١٢٦)، مسند الشهاب القضاعي (٢٩٩/٢)، الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٣٢٣/١) رقم (١٢٧٩)، واللفظ لهم جميعا، وضعفه في الكنز (٢٢٨/١٤) رقم (٣٨٥٠٦) بيحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب عن أبيه. قال أحمد: "ليس بثقة".

٢) أعني موارد المعنى، لا موارد اللفظ من حيث هو، فإن هذا ليس بداخل في نطاق البحث.

ثانيا: مفهوم تقارب الزمان في لغة العرب

هذه العبارة النبوية وردت في الموضع الأول بلفظين: (اقترب الزمان)و(تقارب الزمان). وفي الموضع الثاني باللفظ الثاني فقط، وهي مُركبة من كلمتين، وعليه فـ(اقترب ويتقارب)؛ مزيدا الفعل الثلاثي: (قرب). قال ابن فارس(توفي:٣٩٥هـ): "(قرب): القاف والراء والباء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلاف البُعد. يقال: قَرُبَ، يَقْرُبُ، قُرباً".(١).

وقال ابن الأثير(نوفي:٦٠٦هـ): "(واقْتَرب): افْتَعل من القُرْب . (وتقَارَب): تفاعَل منه. ويقال للشيء إذا وَلَّى وأدْبَر: (تَقارَب)".(٢) . ويرى صاحب القاموس أن (اقترب وتقارب) بمعنى.(٣).

قلت: وما ذكره ابن الأثير أولى فيما نحن بصدده؛ فإن صيغة المفاعلة المفيدة للمشاركة تعني أن أجزاء الزمان يتداعى بعضها إلى بعض إلى الوراء (ولَّى وأدبر)، حتى تقصر أو تتلاشى، فتعود إلى نقطة البدء، وذلك وفق قوانين خاصة أرادها الله عز وجل، وهو ما يُلمح إليه الحديث في إشارته العلمية، على ما سيأتي بيانه.

وأما الزمان فقال ابن فارس(توفي:٣٩٥هـ): "(زمن): الزاي والميم والنون أصلٌ واحدٌ يدلُّ على وَقتٍ من الوقت. من ذلك: (الزَّمان)، وهو الحِين، قليلُهُ وكثيرُهُ. يقال: زَمانٌ وزَمَن، والجمع أَزمانٌ وأزمنَة".(٤). زاد في القاموس من معانيه: "العصر، وفي جمعه: أزمُن بضمِّ الميمِ".(٥).

---

١) معجم مقاييس اللغة (٥/٨٠).

٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٣). وقول ابن الأثير: إن (ولى وأدبر)؛ بمعنى: (تقارب)، نقله عنه ابن منظور في لسان العرب (١/٦٦٣) ولم يعقب عليه، وسيأتي في كلام البغوي أيضا، وتأويله – والله أعلم – على وجهين: إما أن يكون من باب الأضداد، وهي الألفاظ التي تستعمل في المعنى وضده، وإما أن يكون معناه: تقارب إلى البعد والزوال، كما تقول: أوشك الشيء أو قرب على الانتهاء.

٣) القاموس المحيط للفيروز أبادي(ص: ١٢٣).

٤) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٢).

٥) القاموس المحيط (ص: ١٢٠٣).

وقالَ شارح القاموس(توفي:١٢٠٥هـ) ناقلا عن المناوِيُّ(توفي:١٠٢٢هـ): "الزَّمانُ: مُدَّة قابِلَةٌ للقسْمَةِ يُطْلَقُ على القَليلِ والكَثيرِ، وعنْدَ الحكَماءِ مقْدارُ حَرَكَةِ الفَلَكِ الأطْلس[١]، وعنْدَ المتَكَلِّمين: مُتَجَدِّدٌ مَعْلومٌ يُقَدَّرُ به مُتَجَدِّدٌ آخَرُ مَوْهومٌ، كما يقالُ: آتِيكَ عندَ طلوعِ الشمْسِ، فإنَّ طلوعَها مَعْلومٌ، ومَجِيئَه مَوْهومٌ، فإذا قَرنَ المَوْهوم بالمعْلومِ زالَ الإيهامُ".[٢].

هذه خلاصة ما قيل في المعاجم اللغوية عن معنى هاتين اللفظتين، ولا يتضح المراد منهما في الحديث إلا بعد الرجوع إلى أقوال العلماء في شرح الحديث، إذ اللغة وحدها لا تكفي في بيان المراد من النص الشرعي، ومن المعلوم المقرر أن ثمت فرقا بين معنى النص في اللغة وبين المراد منه، فقد يتَّحدان وقد يتغايران، فقد يكون المعنى اللغوي هو نفس مراد الشارع، وقد يكون غيره، ولا يخفى هذا على من له أدنى حظ من الإلمام بعلوم الشريعة.

والسؤال الآن بعد أن بيَّنَّا معنى تقارب الزمان في اللغة: هل المراد من عبارة: (تقارب الزمان) واحد في الموضعين، أعني حديث الرؤيا وحديث الفتن؟ لِنَرَ ماذا قال شُرَّاح الحديث في المراد من هذه العبارة في كلا الموضعين.

---

١) قال الإيجي: "زعموا أن الأفلاك الثابتة بالرصد تسعة، تشتمل على أربعة وعشرين فلكا: فلك الأفلاك وهو المسمى بالفلك الأطلس؛ لأنه غير مُكَوْكب (خال من الكواكب)، وبالعرش المجيد في لسان الشرع". كتاب المواقف (٢/٤٠٠).
وقال ابن أبي العز: "وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع ! وهذا ليس بصحيح؛ لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة". شرح الطحاوية (١/٢٥٥).
وسمي بالفلك الأطلس لخلوه عن النقوش كالثوب الأطلس. الكليات لأبي البقاء (ص: ٤٨٦).

٢) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٣٥/١٥٢). وفي الأصل: (الإبهام). وما أثبته هو المناسب لسياق الكلام، وهو كذلك في التعريفات (ص: ١١٤)، ومعجم الفروق اللغوية (ص: ٢٣٨).

ثالثا: المراد من تقارب الزمان في الحديث الشريف في ضوء فهم شُرَّاحه

أولا: اقتراب الزمان في حديث الرؤيا

قال البغوي(توفي:٥١٦هـ): "وَرَوَى أَكْثَرُ الرُّوَاةِ: إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ، أَوْ إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنُ تَكْذِبُ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ.

١. قِيلَ: أَرَادَ بِهِ قُرْبَ زَمَانِ السَّاعَةِ وَدُنُوِّ وَقْتِهَا، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ[١]، ويقال للشيء إذا ولى وأدبر: تقارب، يقال: تقاربت إبل فلان: إذا قلت وأدبرت، ويقال للقصير: متقارب.

٢. وقيل: معنى اقتراب الزمان: اعتداله حين يستوي الليل والنهار. والمعبِّرون يقولون: أصدق الرؤيا في وقت الربيع، أو الخريف عند خروج الثمار وعند إدراكها، وهما وقتان يتقارب فيهما الزمان، ويعتدل الليل والنهار".[٢]. وسبق إليه الخطَّابي(توفي:٣٨٨هـ).[٣].

وبعبارة أخرى: "استواء الليل والنهار عند انطباق دائرة منطقة البروج على دائرة معدَّل النهار[٤]، وذلك وقت اعتدال الطبائع الأربع[١]، فلا يكون في المنام أضغاث أحلام؛

---

١) يعني قوله في الرواية الأخرى: (إذا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ لا تَكادُ رُؤْيَا المؤْمِنِ تَكْذِبُ). أخرجه عبد الرزاق في المصنف، في باب الرؤيا (٢١١/١١) رقم (٢٠٣٥٢) عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة، ومن طريقه أحمد في المسند (٨٠/١٣) رقم (٧٦٤٢)، والترمذي في كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ في الميزان والدلو(٥٤١/٤) رقم (٢٢٩١) وقال: "وقد روى عبد الوهاب الثقفي هذا الحديث عن أيوب مرفوعا، ورواه حماد بن زيد عن أيوب ووقفه". قلت: وهذا إسناد صحيح.

٢) شرح السنة (٢١٠/١٢).

٣) ينظر: معالم السنن (١٣٩/٤)، وغريب الحديث (٩٤/١) كلاهما للخطابي. وقال عن التأويل الثاني: "إنه معنى سديد". وإن استبعده ابن حجر بالتقييد بلفظ: (المؤمن) في الحديث؛ فإن الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به. فتح الباري لابن حجر (٤٠٥/١٢). وسيأتي الرد عليه. وينظر أيضا: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١٧٥/٣). وزاد تأويلا ثالثا سيأتي ذكره بعد قليل.

٤)يعني بذلك نقطتي التقاطع بينهما التي إذا سامتها الشمس حصل الاعتدال الربيعي والخريفي. قال صاحب الجديد في الحكمة: "الفلك المدير للكل تسمى منطقته معدل النهار، ومحوره محور العالم، وقطباه قطبي العالم، وحركته بالنسبة إلى الآفاق، أعني الدوائر المتوهمة التي تفصل

في كل موضع بين الظاهر من الفلك والخفي منه، وتقطع معدل النهار على نقطتين متقابلتين، تسمى إحداهما شرقية والأخرى غربية ... فإذا توهمنا خطا يخرج من مركز الأرض (و) ينتهي إلى سطح الفلك الأعظم مارا بجرم الشمس، ودارت الشمس بحركتها الخاصة بها، دورة (واحدة) تامة، فإنه ترتسم في سطح ذلك الفلك دائرة عظيمة، مقاطعة لمعدل النهار، وتسمى (فلك البروج)، ونقطة التقاطع بينهما التي إذا جاوزتها الشمس حصلت في الشمال؛ هي نقطة الاعتدال الربيعي، ونقطة التقاطع المقابلة لها التي إذا جاوزتها حصلت في الجنوب؛ هي نقطة الاعتدال الخريفي، ومنتصف ما بين نقطتي التقاطع في الجهة الشمالية؛ هو نقطة الانقلاب الصيفي، وفي الجهة الجنوبية هو نقطة الانقلاب الشتوي. وإذا توهم انقسام ما بين كل نقطتين من النقط الأربع، بثلاثة أقسام متساوية، وتوهمنا ست دوائر تمر (و) كل واحدة منها على نقطتين متقابلتين من النقط الاثني عشر؛ انقسم سطح الفلك الأعظم اثني عشر قسما، كل منها يسمى (برجا). وإذا كانت الشمس فيما بين نقطتي الاعتدال الربيعي، والانقلاب الصيفي كان الزمان ربيعا. وإذا كانت في الربيع الذي يليه من الجهة الشمالية كان صيفا. وإذا كانت في الربع الثالث كان خريفا، وإذا كانت في الربع الرابع كان شتاء" . الجديد في الحكمة (ص: ٣٩٤-٣٩٥).

وإنما سميت معدل النهار لتعادل الليل والنهار في جميع البقاع عند كون الشمس عليها. شرح المقاصد في علم الكلام (٣٣٨/١). ويقارن بكتاب المواقف (٤٠٨/٢).

١)كان التشخيص والعلاج في الطب القديم مبنياً على الأخلاط الأربعة " البلغم، المرة الصفراء، المرة السوداء، الدم "، وعلى الأمزجة " الحرارة، الرطوبة، البرودة، اليبوسة "... وجعلَوا الغالبَ على كلِّ خلطٍ منها طبيعةَ ... فجعلوا طبيعةَ الدَّمِ طبيعة الهواءِ التي هي الحرارةُ والرطوبةُ، وطبيعةَ المرَّةِ الصفراءِ طبيعةَ النارِ التي هي الحرارةُ واليبوسةُ، وطبيعةَ المرَّةِ السوداءِ طبيعةَ الأرضِ التي هي البرودةُ واليبوسةُ، وطبيعةَ البلغمِ طبيعةَ الماءِ التي هي البرودةُ والرطوبةُ. "والتوازن أو الاعتدال فيها هو حال الصحة. والخروج عن الاعتدال أو سوء المزاج هو: حال المرض.

وقسم جالينوس طبائع البشر حسب هذه الأخلاط: فالدم للدمويين، والصفراء للصفراويين، والسوداء للسوداويين، والبلغم للبلغميين. وألحق بها الفصول الأربعة. فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع، وكانت كل واحدة منهن فيه ربعاً لا يزيد ولا ينقص؛ كمل بهجته، واعتدل بنيانه. فإن زادت واحدة منهن عليهن، وقهرتهن، ومالت بهن؛ دخل على أخواتها السقم من نواحيهن؛ لقلتها منهن حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز.

ثم جاءت مدرسة (النفثيين Pneumatiste)، فوضعت أمزجةً مختلفةً تجمع بين أكثر من خلط وصفة، ونتج عن هذا المزج تسعة أمزجة، ثمانية ناتجة عن المزج، والتاسع هو = =المتوازن تماماً .وهذا ما يسميه أبقراط بالاعتدال ((Crasis، ولكن إذا زاد أحد العناصر أو نقص أو امتنع عن الاعتدال بالعناصر الأخرى؛ حدث المرض (Dyscrasie)، وأكثر الأمراض ناجمة

فإن من موجِبات التخليط فيها غلبة بعض الأخلاط على بعض، ومن ثم قال المعبِّرون: أصدق الأزمان لوقوع التعبير وقت انفتاق الأزهار، وإدراك الثمار، واستواء الليل والنهار، وعند ذلك تصح الأمزجة، وتصح الحواس".[1].

وقال القرطبي(توفي:٦٥٦هـ): "ومُوجِب صدق الرؤيا في ذلك الزمان اعتدال الأمزجة فيه؛ فلا يكون في المنام أضغاث الأحلام؛ فإنَّ من مُوجِبات التخليط فيها غلبة بعض الأخلاط على صاحبها".[2].

وكذا علله ابن الجوزي(توفي:٥٩٧هـ):بأنه "وقت تعتدل فيه الأمزجة، فحينئذ تكون الرؤيا سليمة في الغالب من الأخلاط".[3].

عن ازدياد في البرودة أو الحرارة. فالمرض- حسب نظرية أبقراط - ناجم عن عدم التعادل بين هذه الأخلاط، أو بسبب فساد بعضها أو زيادتها أو نقصها. أما العلم الحديث فينسب تغير السوائل إلى المرض، ولا يعدها سبباً له.

ويعتقد أيضاً بأن ثمة تماسكاً وتضامناً بين أعضاء الجسم ووظائفه، فإذا مرض عضو أثر على الأعضاء كافة. وهذا صحيح كل الصحة.

والمقصود بالمزاج هو: الفطرة، أو الخصلة، أو الطبع. والأمزجة تسعة: معتدل وغير معتدل.إما مفرد: بارد، أو حار، أو يابس، أو رطب.وإما مركب: حار . يابس، وحار . رطب، وبارد . يابس، وبارد . رطب. ولقد اعترض بعض العلماء العرب على هذه النظرية وانتقدوها، منهم علي بن العباس المجوسي الذي قال: بأن ليس ثمة أربعة عناصر، بل عنصر واحد ربما كان الماء أو الهواء.ويقول: بأن الجسم لا يحتوي على أربعة أخلاط، بل على خلط واحد هو: الدم. وأضاف العرب الكثير من التفاصيل، بعد أن أضاف جالينوس الكثير من قبلهم، وأصبحت كما عرضناه.

بتصرف، نقلا عن موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة:

http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/fi%٢٠attourate%٢٠attibi/Menu١.php

وينظر:

http://cupping.khayma.com/fourmix.htm

مقال بعنوان:(الطبائع والأمزجة ـ الأخلاط الأربعة)، نشر بتاريخ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٣م.

١) فيض القدير (٢٩١/١).

٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/١٠-١١).

٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٣٧/٣).

قلت: والمراد من عدم الصدق في الرؤيا المشار إليه في الحديث؛ عدم سلامتها بسبب التخليط الناشئ عن الأخلاط، ومنه تنشأ الأضغاث التي لامعنى لها ولا تأويل، لأن النائم لا يتصور منه الكذب.

وقد ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} [الأنبياء: ٥] "ثلاثة أوجه: أحدها: أهاويل أحلام رآها في المنام. الثاني: تخاليط أحلام رآها في المنام. الثالث: أنه ما لم يكن له تأويل.

وفي الأحلام تأويلان: أحدهما: ما لم يكن له تأويل ولا تفسير. الثاني: أنها الرؤيا الكاذبة".(١).

وقد علل الحُميدي(توفي:٤٨٨هـ)للتأويل الأول في الحديث بقوله: "قيل: عند اقتراب الساعة وفساد الزمان؛ يُخَصُّ المؤمن بصدق رؤياه لصدق إيمانه".(٢).

وصوبه ابن بطال(توفي:٤٩٩هـ) من جهة النقل قائلا: "والتأويل الأول هو الصواب الذي أراده النبي عليه السلام؛ لأنه قد روى مرفوعًا عنه أنه قال: "فِي آخِرِ الزَّمَانِ لا تَكْذِبُ رُؤْيا المؤْمِن، وأَصْدَقُهُم رُؤْيَا أَصْدَقُهُم حَدِيثًا".(٣).

ثم علله من جهة العقل قائلا: "إذا اقتربت الساعة، وقُبض أكثر العلم، ودَرست معالم الديانة بالهرْج والفتنة، فكان الناس على فترة من الرسل، يحتاجون إلى مذكِّر ومجدِّد لما دَرس من الدين، كما كانت الأمم قبلنا تُذكَّر بالنبوة، فلما كان نبينا محمد عليه السلام خاتم الرسل، وما بعده من الزمان ما يشبه الفترة؛ عُوِّضوا مما مُنِع من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة التي هي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار".(٤).

وقال ابن القيِّم(توفي:٧٥١هـ): "وهي عند اقتراب الزمان لا تكاد تخطئ،كما قال النبي ﷺ، وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها، فيتعوض المؤمنون بالرؤيا. وأما في زمن قوة نور النبوة؛ ففي ظهور نورها وقوَّته ما يغني عن الرؤيا".(٥).

---

١) تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤٣٧/٣)بتصرف.
٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص:١٢١).
٣) سبق تخريجه.
٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٣٩/٩)بتصرف.
٥) مدارج السالكين (٥٠/١).

وقال ابن أبي جمرة(توفي:٥٩٩هـ): "معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب؛ أنها تقع غالبا على الوجه الذي لا يحتاج إلى تعبير، فلا يدخلها الكذب، بخلاف ما قبل ذلك فإنها قد يخفى تأويلها، فيُعَبِّرها العابر، فلا تقع كما قال، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار.

قال: والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبا كما في الحديث: (بَدَأَ الإسْلامُ غَرِيباً وسَيعُودُ غَرِيباً). أخرجه مسلم(توفي:٢٦١هـ)[١]، فيقلُّ أنيس المؤمن ومُعينه في ذلك الوقت، فيُكرم بالرؤيا الصادقة".[٢].

وعلله المناوي(توفي:١٠٢٢هـ) بأن "المغيَّبات تنكشف حينئذ، والخوارق تظهر، ولأن أكثر العلم يقبض بقبض العلماء، وتندرسُ مَعالم الدين، فيكون في الرؤيا الصادقة حينئذ بعضُ غِنَىً. ولو كان المراد بالاقتراب الاعتدال لما قيده بالمسلم".[٣].

وقريب من تعليله ما ذكره الشيخ إسماعيل حقِّي(توفي:١١٢٧هـ) في تفسير قوله تعالى{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) } [القمر: ١] بعد أن ساق هذا الحديث، من قوله: "المراد وضوح الأمر في آخر الزمان وظهور حقيقته، ولذا يصير الناس بحيث ينكشف لأدنى سالك منهم في مدة قليلة ما لم ينكشف للأمم الماضية في مدة طويلة، وذلك لأن الله تعالى قال في حق يوم القيامة {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)} [الطارق: ٩]. فإذا قرب الزمان من ذلك اليوم يأخذ حكمه، فيكون كشف الأمور أكثر، والخفايا أظهر".[٤].

أما عن الزمان الذي إذا اقترب لم تكد الرؤيا تكذب – بناء على التأويل الأول – فقال القرطبي(توفي:٦٥٦هـ): "ويعني – والله أعلم – بآخر الزمان المذكور في هذا الحديث: زمان الطائفة الباقية مع عيسى ﷺ بعد قتله الدجال".[٥].

---

١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا .... (١/١٣٠)رقم٢٣٢ – (١٤٥) من حديث أبي هريرة.
٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/٤٠٦).
٣) فيض القدير (١/٢٩١).
٤) روح البيان (٩/٢٦٧).
٥) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم (٦/١١).

وقيل: "إن المراد بالزمان المذكور زمان المهدي، عند بسط العدل، وكثرة الأمن، وبسط الخير والرزق؛ فإن ذلك الزمان يُستقصر لاستلذاذه، فتتقارب أطرافه".(١).

قَالَ الْخَطَّابِيّ(توفي:٣٨٨هـ): "وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الْمَهْدِيِّ أَوْ عِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ كِلَيْهِمَا. قَالَ الْقَارِي(توفي:١٠١٤هـ): وَالْأَخِيرُ هُوَ الْأَظْهَرُ؛ لِظُهُورِ هَذَا الْأَمْرِ فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَهُوَ زَمَانُهُمَا".(٢).

وهناك قول ثالث في معنى العبارة ذكره ابن الجوزي والمنذري. فقال ابن الجوزي(توفي:٥٩٧هـ): "المراد بتقارب الزمان زمان التكهُّل؛ لأن الكهل قد بعد عنه تخايل الظنون الفاسدة، وركدت عنده نوازع الشهوات، فكانت نفسه أقبل لمشاهدة الغيب".(٣).

وقال المنذري(توفي:٦٥٦هـ): "ويحتمل أن يراد اقتراب الموت عند علو السن؛ فإن الإنسان في ذلك الوقت غالبا يميل إلى الخير والعمل به، ويقلُّ تحديثه نفسه بغير ذلك".(٤).

وهناك قول رابع ذكره الداودي(توفي:٤٠٢هـ). وهو: "أن المراد بتقارب الزمان نقص الساعات والأيام والليالي".(٥).

قال الحافظ ابن حجر(توفي:٨٥٢هـ): "ومراده بالنقص سرعة مرورها، وذلك قرب قيام الساعة، كما ثبت في الحديث الآخر عند مسلم(توفي:٢٦١هـ) وغيره: "يَتقارَبُ الزَّمانُ، حتى تكونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعَةِ، والجُمُعَةُ كاليَوْمِ، واليَوْمُ كالسَّاعَةِ، والسَّاعَةُ كاحْتِراقِ السَّعْفَةِ".(٦).

---

١) فتح الباري (٤٠٦/١٢).
٢) تحفة الأحوذي (٦٢٥/٦).
٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٣٧/٣).
٤) عون المعبود (٢٤٧/١٣).
٥) ستأتي عبارة الداودي بلفظ آخر بعد قليل، فلتُرتقب.
٦) فتح الباري (٤٠٦/١٢). والحديث ليس في مسلم، بل أخرجه أحمد في مسنده (٥٥٠/١٦) رقم (١٠٩٤٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٣٦/٧) رقم (٢٩٨٦)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٢٥٦/١٥) رقم (٦٨٤٢) من طرق عن سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بإسناد قال عنه ابن كثير: "صحيح عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ". النهاية في الفتن والملاحم

تعقيب:

هذه الأقوال المذكورة في المراد بالعبارة النبوية – وإن كان يحتملها اللفظ جميعا – إلا أن أقربها إلى الصواب، وأولاها بالقبول؛ التأويل الأول، لأن النص فَسَّر المراد منه، وهو أولى ما فُسِّر به مراد الشارع، أعني: حديث: (إذا كَانَ آخِرُ الزَّمانِ).ثم هو مُتَّجِهٌ عقلا،كما أشار إليه ابن بطال(توفي:٤٤٩هـ) وغيره.

لكن يبقى النظر في المراد بالزمان: هل هو الزمان الخاص– وهو زمان كل أحد– كما فهمه مَنْ فسَّره بزمان التكهُّل وعلو السن عند اقتراب الأجل– وهو محتمل– أم هو الزمان العام – وهو مدة الدنيا – وهو الأقرب والمعهود في لسان الشارع؟ الراجح الثاني.

ويلي هذا التأويل في قربه إلى الصواب وحَقِّيته بالقبول؛ التأويل الثاني، وهو اعتدال الليل والنهار، فهو محتمل من حيث اللغة، ثم هو معلل من جهة الطب، وقد سدَّده الخطابي(توفي:٣٨٨هـ).

وقد أشرت إلى أن معنى صدق الرؤيا على هذا التأويل كونها رؤيا ممكنة التأويل، لا أضغاث أحلام لا معنى لها ولا تأويل؛ فإن الأضغاث إنما تحصل غالبا من التخليط[1].

وأما في وقت الربيع فتعتدل الطبائع وتصح الأمزجة،كما ذكر أهل الطب والحكمة، ولا شك أن لهذا أثره في ما يراه الرائي في منامه.

(١/٢٣٥). وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي سيأتي. والسعفة فسرها سهيل في رواية أحمد بالخُوصة. وهذا ليس لفظ واحد منهم، ولفظ أحمد: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ الْخُوصَةُ " زَعَمَ سُهَيْلٌ.

١) ذكر الحكماء أن المدْرَك في النوم يوجد في الحس المشترك، ويكون على وجهين. الأول: النفْس وهي تأخذه من العقل الفعَّال. ومثل هذا هو الذي يعبر ويؤول. والثاني: يرِدُ عليها إما من الخيال، أو من ثوران خلط أو بخار. ولذلك فإن الدموي يرى في حُلمه الأشياء الحُمر، والصفراوي النيران والأشعة، والسوداوي الجبال والأدخنة، والبلغمي المياه والألوان البيض. ومثل هذا أضغاث أحلام لا يؤول ولا يعبر، ولا يقع هو ولا تعبيره. وسيأتي كلامهم بعدُ وافيا.

وأما قول من قال: إن ذلك لا يختص بالمؤمن، وقد قيَّده به الحديث، فدل على أن المراد المعنى الأول، فهو الذي يختص بالمؤمن!

فيمكن الجواب عنه بأن ذكر المؤمن هنا لمزيد الاهتمام والعناية به، فلا يمنع ذلك من شمول الحديث لغيره من الناس. ونظائرُ هذا في لسان الشرع كثيرة، منها قوله ﷺ: "المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ".(١).

فإن الدليل قام على أن السلامة من أذى المسلم لا يختص بالمسلمين وحدهم، بل بالناس أجمعين، وثبت في المسند وغيره من حديث أبي هريرة(توفي:٥٧هـ): "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ".(٢). والناس متفقون أبدا في أحكام الطبائع، وإن فرقت بينهم أحكام الشرائع!(٣).

وأما التأويل الرابع ففيه نظر من وجهين:

الأول: أنه لم تُذكر له علة، ولم تُعرف له حكمة، فغيره مما بانت علته، وعرفت حكمته أولى وأحرى.

الثاني: كلام الداودي (توفي:٤٠٢هـ)، وهو صاحب هذا التأويل واضح ولا يحتاج إلى تأويل، فما فسره به الحافظ ابن حجر(توفي:٨٥٢هـ) رضي الله عنه؛ بعيد عن الصواب، فالنقص في كلام الداودي حقيقي بانتقاص الساعات، وهذا ما يفيده منطوق الحديث

١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٣/١) رقم (١٠)، وكتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (٢٣٧٩/٥) رقم (٦١١٩)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان،باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (٦٥/١) رقم ٦٤ – (٤٠)واللفظ للبخاري، وفي الباب: عن جابر وأبي موسى وأبي هريرة.

٢) مسند أحمد (٤٩٩/١٤) رقم (٨٩٣١) وإسناده جيد.

٣) ومما يؤكد هذا ما ذكره صاحب مرصاد العباد من قوله: "الرؤيا نوعان: رؤيا صالحة، ورؤيا صادقة. أمّا الرؤيا الصالحة فهي التي يراها المؤمن أو الوليُّ أو النبي، ويصدُق تعبيرها، أو يكون تأويلها صحيحا، وهكذا يتحقّق ما كان رآه كما هو، وهذا من ظهور الحقّ.= = والرؤيا الصادقة هي التي بدون تأويل تقع بعينها أو يصحّ تأويلها، وهي من ظهور الروح، ويمكن أن تقع للمؤمن أو الكافر على السواء". كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (٨٨٧/١).

الذي استشهد به الحافظ، وهو ما يؤكده العلم الحديث، على ما سنبينه فيما بعد إن شاء الله.

وأما تأويل من تأوله باقتراب الأجل فما علله به ليس مطَّردا، بل الغالب على هؤلاء اختلال الأمزجة، واعتلال الطبائع، وهذا له أثره في صحة الرؤيا. والله أعلم.

ثانيا: تقارب الزمان في حديث الفتن

فرَّق المحققون من العلماء بين المراد من عبارة تقارب الزمان في الحديثين، وإن اشتركا في بعض المعاني بحسب ما يلوح من الأمارات والقرائن، فقال الخطابي(توفي:٣٨٨هـ) عن حديث الرؤيا: "بلغني عن أبي داود(توفي:٢٧٥هـ) أنه كان يقول: تقارب الزمان استواء الليل والنهار ... وفيه وجه آخر، وهو أن يراد بتقارب الزمان قرب انتهاء أمده".(١).

ثم قال عن حديث: "يَتقارَبُ الزَّمانُ حتَّى تَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْر، والشَّهْرُ كالجُمُعة، والجُمُعة كاليَوْمِ، واليَوْمُ كالسَّاعَةِ"...وساق بسنده عن أبي سِنان(عيسى بن سِنان) قوله: ذلك من استلذاذ العيش: يريد – والله أعلم – زمان خروج المهدي، ووقوع الأَمَنة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها، فيُسْتَلَذُّ العيش عند ذلك، وتُسْتَقْصَرُ مُدَّتُه، ولا يزال الناس يَستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت وامتدَّت، ويستطيلون أيام المكروه وإن قصُرت وقلَّت، والعرب تقول في مثل هذا: مَرَّ بنا يومٌ كعُرقوب القَطا قِصرا ... وقد جمع الشاعر طرفي هذا المعنى فقال:

يَطُولُ اليومُ لا أَلْقَاكَ فيه وشَهْرٌ نَلْتَقِي فيه قَصِيرُ"!(٢)

ثم قال عن حديث الفتن: "قوله (يتقارب الزمان) معناه: قِصر زمان الأعمار وقلة البركة فيها . وقيل: هو دُنُوُّ زمان الساعة، وقيل: هو قِصر مدة الأيام والليالي، على ما روي:

---

١) غريب الحديث للخطابي (١/٩٤).

٢) غريب الحديث للخطابي (١/٩٤-٩٥). وهذا التأويل تعقبه الكِرْماني بأنه لا يناسب أَخَواتِه من ظهور الفتن وكثرة الهرْج وغيرهما. وأجاب الحافظ بأنه إنما احتاج الخطابي إلى تأويله بما ذُكر؛ لأنه لم يقع النقص في زمانه، وإلا فالذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا، فإنا نجد من سرعة مَرِّ الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا، وإن لم يكن هناك عيش مُستلذٌّ. والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة. ينظر: فتح الباري (١٣/١٦).

وقد عكس التُّوربشتي ما ذكره الخطابي فقال: "قَوْلُهُ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ): يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى قِلَّةِ بَرَكَةِ الزَّمَانِ وَذَهَابِ فَائِدَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَوْ عَلَى أَنَّ النَّاسَ لِكَثْرَةِ اهْتِمَامِهِمْ بِمَا دَهَمَهُمْ مِنْ النَّوَازِلِ وَالشَّدَائِدِ وَشُغْلِ قَلْبِهِمْ بِالْفِتَنِ الْعِظَامِ؛ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ تَنْقَضِي أَيَّامُهُمْ وَلَيَالِيهُمْ"! تحفة الأحوذي (٦/٦٢٤).

هذا: والبيت المذكور لابن أبي دُباكِل الخُزَاعِيُّ، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ٩٤٦).

(أن الزَّمانَ يتَقاربُ حتَّى تَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعةِ، والجُمُعةُ كاليَوْمِ، واليَوْمُ كالسَّاعَةِ، والسَّاعَةُ كاحْتِراقِ السَّعْفةِ)".[1].

وقال القاضي عياض(توفي:٥٤٤هـ):

١- "وقوله: (إذا اقْتَرَبَ الزَّمانُ لم تَكَدْ رُؤْيَا المؤْمِنِ تَكْذِبُ).

- قيل: هو اقترابه من الساعة... وجاء في حديث آخر ما يبيِّنه: (إذا كانَ آخِرُ الزَّمانِ لا تَكادُ رُؤْيَا المؤْمِنِ تَكْذِبُ).

- وقيل: تقارب الليل من النهار، وهو اعتدال الزمان.

٢- وأما في حديث أشراط الساعة: (يتَقاربُ الزَّمانُ حتَّى تَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ).

- فقد أشار الخطابي(توفي:٢٨٨هـ) أنه على ظاهره، وأنه قِصَر مُدَدِها.

وقيل: معناه، لطيب تلك الأيام حتى تَقصر ولا تُستطال.

٣- وأما في الحديث الآخر:(يتَقاربُ الزَّمانُ، وتَكْثُر الفِتَنُ، ويَنْقُصُ العِلْمُ).

١ ـ فقيل: هو دنوه من الساعة، كما تقدم[2]، وهو أظهر.

٢- وقيل: هو قِصَر الأعمار.[3].

٣- وقيل: تقاصر الليل والنهار، بمعنى الحديث الأول[4]، فلا يظهر التفاوت في الليل والنهار بالقصر والطول. يعني يتساويان قِصَرا.

---

١) معالم السنن للخطابي (٣٤١/٤).

٢) يعني: في حديث الرؤيا.

٣) يعني: قصر الأعمار بالنسبة إلى كل طبقة. فالطبقة الأخيرة أقصر أعمارا من الطبقة التي قبلها. فتح الباري (١٧/١٣).

٤) يعني حديث: (يتَقارَبُ الزَّمانُ حتَّى تَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ). ونقل ابن التِّين عن الداودي أن معنى حديث الباب أن ساعات النهار تقصر قرب قيام الساعة، ويقرب النهار من الليل. قال الحافظ: "وتخصيصه ذلك بالنهار لا معنى له، بل المراد نزع البركة من الزمان ليله ونهاره كما تقدم. قال النووي تبعا لعياض وغيره: المراد بقِصَره عدم البركة فيه، وأن اليوم مثلا يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة. قالوا: وهذا أظهر، وأكثر فائدة، وأوفق لبقية الأحاديث". فتح الباري (١٦/١٣-١٧).

٤- وقيل: تقارب الناس في الأحوال، وقلة الدين، والجهل، وعدم التفاضل في الخير والعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون أيضا: (يتقارب) هنا بمعنى: (يردي ويسوء)؛ لما ذكر من كثرة الفتن وما دل عليه، ومنه: (شيء مقارب).[١].

وقد اختار ابن بطال(توفي:٤٩٩هـ) هذا القول، فقال: "معناه - والله أعلم - تقارب أحوال أهله في قلة الدين، حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، لغلبة الفسق وظهور أهله...وخصَّه الطحاوي(توفي:٣٢١هـ) بتقاربهم في ترك طلب العلم خاصة، والرضا بالجهل، وذلك لأن الناس لا يتساوون في العلم، لأن دَرَج العلم تتفاوت. قال تعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف: ٧٦]، وإنما يتساوون إذا كانوا جهالا. وكأنه يريد غلبة الجهل وكثرته، بحيث يُفقد العلم بفقد العلماء".[٢].

٥- وقال البيضاوي(توفي:٦٨٥هـ): "يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان: تسارع الدول إلى الانقضاء، والقرون إلى الانقراض، فيتقارب زمانهم، وتتدانى أيامهم".[٣].

يعني لكثرة الفتن.

تعقيب:

عند تأمل هذه الأقوال يمكن الوقوف على هذه المستخرجات:

أولا: أن بعضها وقف مع حقيقة اللفظ، وبعضها جنح إلى المجاز. فبينما اعتبر البعض المراد من العبارة اقتراب الساعة، أو قِصر الأيام والليالي، أو تقاربهما؛ اعتبره البعض مجازا عن نزع البركة من الوقت والعمر، وسرعة انقضاء الدول، وتقارب أهل الزمان في الأحوال الرديَّة.

ثانيا: يمكن ردُّ هذه الأقوال بعضها إلى بعض. فقِصر الأعمار بالنسبة للأفراد ينطبق على قِصر أعمار الأمم والجماعات، بل تقاصر الليل والنهار يلزم منه قِصر الأعمار. فهذه أقوال ثلاثة أمكن ردُّ بعضها إلى بعض بلا تكلُّف!

ثالثا: الذي يمكن ترجيحه من بين تلك المعاني هو المعنى الحقيقي المتبادر من اللفظ، لا سيما وقد وقع تفسيره ممن لَفَظ به، وهو النبي المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فعن

١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١٧٦/٢) بتصرف.
٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٣/١٠) بتصرف.
٣) فتح الباري (١٧/١٣).

أبي هريرة(توفي:٥٧هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يتَقاربَ الزَّمانُ، فتَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ، ويَكُونَ الشَّهْرُ كالجُمُعةِ، وتَكُونَ الجُمُعةُ كاليَوْمِ، ويَكُونَ اليَوْمُ كالسَّاعةِ، وتَكُونَ السَّاعةُ كاحْتِراقِ السَّعْفة".(١).

وعن أنس(توفي:٩٢هـ)رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يتَقاربَ الزَّمانُ، وتَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعةِ، وتكونَ الجُمُعةُ كاليَوْمِ، ويَكُونَ اليَوْمُ كالسَّاعةِ، وتَكُونَ السَّاعةُ كالضَّرْمةِ بالنَّارِ".(٢).

ورواه الدَّاني(توفي:٤٤٤هـ) في الفتن، بأوضح من هذا تفسيرا، من حديث سعيد بن المسيِّب(توفي:٩٣هـ) مرسلا قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "مِنْ أَشْراطِ السَّاعةِ تَقارُبُ الزَّمانِ. قِيلَ: يا رسولَ اللهِ، وما تقَارُبُ الزَّمانِ؟ قال: تَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعةِ، والجُمُعةُ كاليَوْمِ، واليَوْمُ كالسَّاعةِ، والسَّاعةُ كاضْطِرابِ السَّعْفة".(٣).

وعلى هذا: فتقارب الزمان تقاصره، وأخذه في النقص المتدرج، بدءا من أكبر وحداته الزمنية، وانتهاء بالساعة، وهو اسم لجزء قليل من الزمن(٤). وهو منطوق الحديث، وليس بعد بيانه بيان.

---

١)سبق تخريجه.

٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في تقارب الزمان وقصر الأمل (٥٦٧/٤) رقم (٢٣٣٢). وقال: "هذا حديث غريب". وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٧/٢).

٣) السنن الواردة في الفتن (٥٥٧/٣) رقم (٢٤٥) و (٧٨/٤) رقم (٣٩١). وفي إسناده ضعفاء ومجاهيل، فضلا عن إرساله. وأظن أن كلمة(اضطراب) تصحيف، فلعلها(اضطرام)، والله أعلم.

٤)قال ابن الأثير: "والساعةُ في الأصل تطْلَق بمعْنيين: أحدُهما أن تكونَ عِبارَة عن جُزءٍ من أربعةٍ وعشرين جُزءاً هي مجموعُ اليوم والليلة . والثاني أن تكون عبارةً عن جُزءٍ قليل من النَّهارِ أو الليل . يقال: جلستُ عندك ساعة من النهار: أي وقتاً قليلا منه، ثم استعِير لاسْم يوم القيامة . قال الزّجَّاج: معنى الساعة في كُلِّ القُرآن: الوقت الذي تَقُوم فيه القيامة. يُريد = =أنها ساعة خَفيفَة يَحدُثُ فيها أمرٌ عظيمٌ، فلقلَّة الوقت الذي تقُوم فيه سَمَّاها ساعة. واللّه أعلم". النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٢٢/٢).

وقال المباركفوري: "فَالْمُرَادُ بِهَا السَّاعَةُ اللُّغَوِيَّةُ، وَهِيَ أَدْنَى مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اِسْمُ الزَّمَانِ مِنْ اللَّمْحَةِ وَاللَّحْظَةِ وَالطَّرْفَةِ". تحفة الأحوذي (١١٧/٦).

وهذا النقص بهذه الصورة من علامات الساعة، كما نص عليه الحديث، وهو نقص حسي لا محالة، إلا أن بعض الشراح زعم أنه يمكن أن يحمل أيضا على النقص المعنوي بالإضافة إلى النقص الحسي، وهو محتمل.

قال ابن أبي جمرة(٥٥٩هـ): "يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على ما وقع في حديث: (لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى تَكُونَ السَّنةُ كالشَّهْرِ). وعلى هذا فالقِصر يحتمل أن يكون حسيا، ويحتمل أن يكون معنويا. أما الحسي فلم يظهر بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة، وأما المعنوي فله مدة منذ ظهر، يعرف ذلك أهل العلم الديني، ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك، ويَشْكُون ذلك، ولا يدْرون العلة فيه.

ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان لظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه، وأشد ذلك الأقوات، ففيها من الحرام المحض ومن الشُّبَه ما لا يَخْفى؛ حتى إن كثيرا من الناس لا يتوقف في شيء، ومهما قدر على تحصيل شيء هجم عليه ولا يبالي.

والواقع أن البركة في الزمان وفي الرزق وفي النَّبْت إنما يكون من طريق قوة الإيمان، واتباع الأمر، واجتناب النهي. والشاهد لذلك قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]. انتهى ملخصا".[1].

وأما باقي الأقوال فهي قليلة الجدوى. فتأويله بدُنُوِّ الساعة تذهب فائدته مع رواية: (لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يتَقاربَ الزَّمانُ). فهو مُشْعِرٌ بأن ذلك إنما يكون قرب قيام

١) فتح الباري (١٣/١٧).

الساعة[1]. والساعة قريبة منذ بُعث سيدنا رسول الله ﷺ، فهو أول علاماتها، حيث قال: "بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كَهاتَيْنِ".[2].

وتأويله بتقارب الدول وتسارعها في الانقضاء، وبنزع بركة الوقت والعمر، وبتقارب أحوال أهل الزمان في الشر والفساد؛ أيضا قليل الفائدة؛ لأن هذه الأمور لا غرابة فيها، وهي حاصلة بالفعل. والأمور آخذة في النقص بعد مبعث النبي ﷺ، حتى الزمان نفسه! والذي يقع قرب قيام الساعة إنما هي خوارق العادات وغرائب الأمور، لا غيرها مما هو حاصل بالفعل.

قال ابن بطال(توفي:٤٩٩هـ): "وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عِيانا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وأُلقي الشح في القلوب، وعمَّت الفتن، وكثر القتل".[3].

قال الحافظ(توفي:٨٥٢هـ): "الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابله. والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر.
والواقع أن الصفات المذكورة وُجدت مَباديها من عهد الصحابة، ثم صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعض. والذي يعقبه قيام الساعة استحكام ذلك كما قررته. وقد

١) ولهذا قال النووي في شرح قوله: (حتَّى يَقْتَرِبَ الزَّمَانُ): "معناه: حتى تقرب القيامة. ووهَّاه الكرماني، وقال: هو من تحصيل الحاصل. لكن قال الحافظ: وليس كما قال، بل معناه قرب الزمان العام من الزمان الخاص، وهو يوم القيامة، وعند قربه يقع ما ذكر من الأمور المنكرة". فتح الباري (٥٢٢/٢).

٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين" (٢٣٨٥/٥) رقم (٦١٣٨)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (٢٢٦٨/٤) رقم١٣٢ - (٢٩٥٠)واللفظ لهما.

٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٧/٣).

مضى من الوقت الذي قال فيه ابن بطال(توفي:٤٩٩هـ) ما قال نحو ثلاثمائة وخمسين سنة، والصفات المذكورة في ازدياد في جميع البلاد، لكن يقلُّ بعضها في بعض، ويكثر بعضها في بعض، وكلما مضت طبقة ظهر النقص الكثير في التي تليها، وإلى ذلك الإشارة بقوله في حديث الباب الذي بعده: (لا يَأْتِي زَمانٌ إلَّا والَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْه)."[1].

١) فتح الباري (١٣/١٦). والحديث رواه البخاري في كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (٦/٢٥٩١) رقم (٦٦٥٧) من حديث أنس.

رابعا: أسرار الإعجاز في تقارب الزمان

قد اشتمل هذان الحديثان العظيمان – أعني حديث التقارب الوارد في الفتن، وحديث التقارب الوارد في الرؤيا اللذين هما مدار البحث – على جُمل من الإعجاز العلمي، فوق ما ينطويان عليه من أنواع الإعجاز الأخرى.

الأول من وجوه الإعجاز:

ما يشير إليه الحديث الأول، من قوة الرؤيا وصحتها وسلامتها عند اعتدال الزمان، وأثر اعتدال الزمان على مِزاج الإنسان، وما يتبع ذلك من أثر في كونها رؤيا يمكن تأويلها، أو مجرد أضغاث وتهاويل لا معنى لها ولا تأويل. وهذا ما نبه عليه أهل العلم بالرؤيا، ووافقهم عليه أهل الطب والحكمة، وأكده العلم الحديث.

يقول خليل بن شاهين الظاهري(توفي:٨٧٣هـ): "وأصدقُ ما تكون الرؤيا في الربيع والصيف([1])؛ لِما تقدم من الحديث الشريف – يعني حديث الرؤيا هذا – وقد ذهب بعضهم إلى تفسير ذلك على هذا الوجه، وأضعف ما تكون في الخريف والشتاء، وقد قال ابن سيرين(توفي:١١٠هـ) وغيره: أقوى ما تكون الرؤيا عند إدراك الثمار واجتماع أمرها، وأضعف ما تكون عند سقوط ورقها وذهاب ثمرها".

وأما عن سبب اختصاص فصل الربيع بهذه الخصوصية بالنسبة للرؤيا؛ فقال ابن شاهين: "وقيل: إن الله تعالى وكَّل على كل مَدَر وشجر ملَكا لحفظه من الجن، لئلا يفسدونه(كذا والصواب يفسدوه)، فإذا انقضى أوانها، وارتفعت الملائكة والموكلون بها؛ بعدت النفوس، وتغيرت الأمزجة؛ فتظهر الأحلام السوء والأضغاث".[2].

ولا شك أن هذا الكلام يحتاج إلى توقيف من الشارع، فلو ثبت لكان نصا في الباب.

---

١) ذكر الصيف هنا مخالف لما فُسِّر به اقتراب الزمان في الحديث الأول، بناء على التأويل الثاني؛ من أن المراد به اعتدال الزمان، وذلك إنما يحصل في الربيع والخريف فقط.

٢) الإشارات في علم العبارات (ص:٦٠٤). وقول ابن سيرين في كتابه المنسوب إليه، تفسير الأحلام = منتخب الكلام في تفسير الأحلام (٢٧/١) بلفظ: وإذا كانت الرؤيا عند إدراك ثمر الشجرة ومنافعها واجتماع أمرها؛ فإن الرؤيا عند ذلك أبلغ وأنفذ وأصح وأوفق. وإذا أورقت الشجرة ولم يطلع ثمارها؛ فإن الرؤيا عند ذلك دون ما وصفت في القوة والبقاء دون الغاية. وإذا سقط ورقها وذهب ثمرها؛ فإن الرؤيا عند ذلك أضعف، والأضغاث والأحلام فيها عند ذلك أكثر.

ويذكر إبراهيم بن يحيى (توفي نحو:٧٩٧هـ) خصوصية الربيع بالنسبة لصحة الرؤيا، دون أن يكون ثمت ارتباط واضح بينهما، فيقول: "أما قوة الرؤيا فهو في زمن جريان الماء في عروق الشجر إلى حين يسقط ورقها، ولا سيما عند خروج الثمار؛ لأن في ذلك الحين إذا كسرتَ غُصنا خرج عِوضه اثنان؛ وكذلك الورق إذا قطعتَ ورقة خرج عِوضها خمسة أوراق".(١).

ولعله يشير إلى أن قوة الطبيعة الخارجة لها أثر في قوة مزاج الإنسان ونفي الأخلاط عنه!

ويذكر ابن سينا(توفي:٤٢٨هـ) خصائص فصل الربيع بالنسبة لمزاج الإنسان، فيقول: "والربيع إذا كان على مزاجه فهو أفضل فصل، وهو مناسب لمزاج الروح والدم، وهو – مع اعتداله الذي ذكرناه – يميل – عن قرب – إلى حرارة لطيفة سمائية ورطوبة طبيعية، وهو يحمِّر اللون؛ لأنه يجذب الدم باعتدال، ولم يبلغ أن يحلله تحليل الصيف الصائف".(٢).

ويشاركه الرازي (توفي:٣١٣هـ) الرأي قائلا: "وأما الربيع فتتقوَّى فيه القُوى، ويكثر فيه الدم؛ لأن البرد يسكُن، والأمطار تتواتر، وكثرة الدم عن الأمطار وحر النهار".(٣).

وابن سينا والرازي – بحكم مشاركتهما في علوم الطب والحكمة – قد اقتربا من الحقيقة العلمية التي انتهى إليها البحث العلمي الحديث، فالسبب العلمي لا يَعْدُو أن يكون كامنا في اعتدال الأمزجة وقوة الطبيعة الناشئة عن اعتدال زمان الربيع إذا أتى على مِزاجه ولم يتغير!

وهذا فضلا عن الأسباب الأخرى التي تصدق بها الرؤيا، كقوة الإيمان، وعلو السن، وغير ذلك مما مرَّ في معنى التقارب في حديث الرؤيا.

ويذكر ابن القيم(توفي:٧٥١هـ)علاقة الفصول الأربعة بصحة الإنسان، وهو بصدد الكلام عن الطاعون، ويعاضد بين كلام الأطباء وبين النصوص الشرعية؛ لينتهي إلى أن

---

١) تعبير الرؤيا، إبراهيم بن يحي، (مخطوط)، مكتبة الجامعة الأردنية (ص:١٠-١١) ترقيم الشاملة آليا.

٢) القانون في الطب (١/١١٩).

٣) الحاوي في الطب (٤/٤١٣).

الربيع هو أصح الفصول، فيقول: "والمقصود أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون، وأن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة؛ لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة والنتن والسُّمِّية في أي وقت كان من أوقات السنة وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف وفي الخريف غالبا؛ لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادَّة وغيرها في فصل الصيف وعدم تحللها في آخره؛ وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف فتنحصر فتسخن وتعفُن فتحدث الأمراض العفِنة، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعدا قابلا رهِلا قليل الحركة كثير الموادِّ، فهذا لا يكاد يُفلت من العطَب.

وأصحُّ الفصول فيه فصل الربيع. قال أَبُقْرَاط(توفي:٣٧٧ق م): إن في الخريف أشد ما يكون من الأمراض وأقتل. وأما الربيع فأصح الأوقات كلها وأقلُّها موتا... وقد روي في حديث: (إذا طلَع النَّجْمُ ارْتَفَعت العاهَةُ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ)[1]. وفُسِّر بطلوع الثريا، وفُسِّر بطلوع النبات زمن الربيع. ومنه{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}[الرحمن: ٦]. فإن كمال طلوعه وتمامه يكون في فصل الربيع، وهو الفصل الذي ترتفع فيه الآفات، وأما الثُّرَيَّا فالأمراض تكبُر وقت طلوعها مع الفجر وسقوطها".[2].

فهكذا يرى العلماء أن فصل الربيع هو أصح فصول السنة إذا كان على مِزاجه، كما قيَّده ابن سينا، يعتدل فيه الزمان، ويعتدل مزاج الإنسان، وترتفع الآفة، وتَقْوَى الطبيعة، ويكثر الحفظ الإلهي.

وإذا كان العلماء قد تكلموا عن علاقة صحة الإنسان الخارجة بالطبيعة فهذا أمر لا غرابة فيها؛ فإنه ناشئ من الطبيعة، يتأثر بها ويؤثر فيها، ولكن الأغرب هي تلك

١)أخرجه أحمد في مسنده (١٩٢/١٤) رقم (٨٤٩٥)، وأبو حنيفة في مسنده (رواية أبي نعيم) (ص: ١٣٨)، والبزار في مسنده = البحر الزخار (١٨١/١٦) رقم(٩٢٩٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٤/٦)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤٢٦/٣)، وتمَّام في فوائده (٣٠٩/١)، من حديث أبي هريرة، واللفظ لتمام، وحسنه الأرناؤوط في تحقيق المسند.
٢) الطب النبوي (٣٢/١ -٣٣).

العلاقة بين داخل الإنسان وخارجه في عالم الرؤيا، بما في ذلك الداخل والخارج؛ موضوع طبيعة الزمان ومزاج الإنسان .

وقد قال الحكماء: "المدرَك في النوم يوجد في الحس المشترك، ويكون ذلك على وجهين:

الأول: أن يَرِدَ عليه من النفْس، وهي تأخذه من العقل الفعال، فإن جميع الصور الكائنات مرتسم فيه، ثم يُلبسه الخيال؛ لِما جُبل عليه من الانتقال والتفصيل والتركيب؛ صورا إما قريبة أو بعيدة؛ فيحتاج إلى التعبير، وهو أن يرجع المعبِّر مجرِّدا له عن تلك الصور حتى يحصل ما أخذتْه النفس، فيكون هو الواقع، وقد لا يتصرف فيه الخيال فيؤديه كما هو بعينه، فيقع من غير حاجة إلى التعبير.

الثاني: أن يَرِدَ عليه؛ إما من الخيال مما ارتسم فيه في اليقظة، ولذلك فإن من دام فكره في شيء يراه في منامه، وإما مما يوجبه مرض كثَوَران خلْط أو بخار، ولذلك فإن الدموي يرى في حُلمه الأشياء الحُمر، والصفراوي النيران والأشعة، والسوداوي الجبال والأدخنة، والبلغمي المياه والألوان البيض، وهذا بقسميه من قبيل أضغاث الأحلام، لا يقع هو ولا تعبيره".[1].

---

١)كتاب المواقف (١٤٣/٢).

وهذا الذي ذكره حكماء الإسلام يتفق مع ما ذكره العلم الحديث. يذكر الدكتور محمد المهدي أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر، أن مصدر مشاهد الأحلام واحد من أمور ثلاثة، منفردة أو مجتمعة أو متبادلة:

١- منبهات فسيولوجية من الجسم والبيئة المحيطة:

كأن يكون الشخص جائعاً فيحلم أنه يأكل، أو يسلط علي عينيه ضوء أحمر فيحلم أنه يشاهد حريقاً هائلاً ... أو أن شخصا ينام وتحت جنبه جسم صلب فيرى في نومه أن أحدا = =يطعنه بحديدة... وحين تمتلئ المثانة بالبول في ليالي الشتاء الباردة قد نحلم أننا نتبول ، وقد يحدث فعلا ..

٢- مشاهد قادمة من خلايا المخ مباشرة:

وهنا يمكن أن نميز عدة أنواع:

أ- مشاهد ناجمة عن تنبه خلايا مخية مفردة: ويكون انطباعها ومضة أو عتمة أو صوتا مفردا أو حسا مفردا، وهي تشكِّل الهلاوس الجسمية والحواسية المعروفة في أول النوم وأثنائه .

وقد أشار إلى ذلك بعض العلماء في ضمن كلام له عن علاقة الطبائع والأخلاط والأمزجة بأنواع المرائي، فقال: "وأما أضغاث المنام فإنها أربعة أشياء، متى زادت على طبيعة الإنسان فإنها تُرِيه شيئا يناسب ذلك، وهي: البلغم، والسوداء، والدماء، والصفراء .

فمن غلب عليه البلغم والرطوبة فكثرة ما يَرى البحار والأمطار والأهوال. ومن غلب عليه الدم فكثرة ما يَرى الألوان من الأحمر والخمر والملاهي والأغذية الحلوة. وإن كان

ب- إدراكات ناجمة عن تنبه مجموعة خلايا مخية ذات وظيفة: وهنا يظهر الحلم ممثلا لوظيفة هذه المجموعة من الخلايا فيكون صورا في حالة كونها خلايا بصرية، أو يكون صوتا في حالة كونها خلايا سمعية، أو يكون تذوقا في حالة كونها خلايا تذوقية ...وهكذا .

٣- مشاهد من الذاكرة:

يرى بعض العلماء أن المشاهد التي يراها الشخص أثناء أحلامه إنما هي مشاهد رآها قبل ذلك في يقظته، وهي مخزونة في الذاكرة حتى منذ الطفولة المبكرة. ويمكن التمييز بين نوعين من الوارد الإدراكي القادم من الذاكرة:

أ- الوارد الإدراكي حديث العهد بالقدوم (ذاكرة متوسطة).

ب- الوارد الإدراكي المخزون قديم العهد (ذاكرة بعيدة).

٤- مشاهد قادمة من مكان ما خارج حدود الإنسان:

هناك نسبة من الأحلام (يطلق عليها الرؤى في الغالب) تكون لها مواصفات خاصة، مثل التنبؤ بما سيكون أو كشف شيء مجهول .. الخ، وهذه المشاهد تختلف عن الأحلام العادية في أنها تكون واضحة ومرتبة وغير مشوهة، ويتذكرها الشخص بدقة، وتتحقق في الواقع كما رآها الشخص أثناء نومه، ويبدو أن هذه الرؤى عبارة عن رسائل غيبية تصل إلى وعي الإنسان مباشرة عن غير طريق الحواس المعروفة، ولا تحتاج إلى تصنيف أو ترميز في القشر الدماغي، (لأنها لا يحدث لها التشوه المعتاد)، وهي تستقبل بواسطة مستقبلات خاصة(لا نعرف كنهها حتى الآن) تفك شفرتها بالكامل فتكون رؤيا مباشرة كأمر أو نهي أو تحذير ولا تحتاج في هذه الحالة إلى تأويل، أو تفك هذه الشفرة جزئياً فتكون رؤيا رمزية تحتاج إلى تأويل. ينظر:

http://www.elazayem.com/B(١١٢).htm

موقع الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، مستشفى أبو العزائم للطب النفسي، الموسوعة النفسية، مجلة النفس المطمئنة، العيادة النفسية .بتصرف من مقال بعنوان: (من أين تأتي الأحلام؟) للدكتور محمد المهدي، أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر.

الغالب عليه الصفراء فكثرة ما يَرى الصواعق والمعصفرات والحرب. ومن غلب عليه المرَّة السوداء فكثرة ما يَرى السواد والظلمات والمخاوف.

والحرارة تُرِي الشموس والحمام والنار. وأما اليبوسة فتُرِي تمزيق الثياب ونتف الشعر. ومن غلب عليه الامتلاء... فإنه يرى كأنه يحمل ما لا يطيق به. ومن كان به شدة فإنه يرى الخناق والضيق. ومن كان به عفونة في جسده فأكثر ما يَرى العَذِرة والأشياء المنتنة. ومن كان معتدل المزاج فإنه يَرى السرور ولُبْس المفاخر من الثياب والبطَر".[1].

والحاصل: أن ثَمَّتَ علاقة طردية ثلاثية بين طبيعة الزمان، وطبيعة الجسد، وطبيعة الرؤيا. فإذا اعتدل طبيعة الزمان اعتدلت طبيعة الجسد، فاعتدلت الرؤيا واستقامت. وإذا اختلطت طبيعة الزمان، اختلطت طبائع الجسد، فاختلطت الرؤيا. وهذه العلاقة أغلبية وليست كلية.

يقول الدكتور لطفي الشربيني استشاري الطب النفسي:" وقد شغلت العلاقة بين الحالة النفسية والتغييرات الجوية الأذهان منذ زمن طويل، حين لاحظ الإنسان ارتباط حالة الطقس في فصول السنة مع حالة المزاج كما يظهر ذلك في تراث الأدب والشعر والفنون، فنسمات الربيع تريح النفس وتبعث العواطف الإنسانية الرقيقة، بينما حرارة الصيف وبرد الشتاء حالات ترتبط بالانفعالات النفسية الحادة، والخريف مرتبط في الأذهان بالذبول والهدوء والسكون، وجاء العلم الحديث ليؤكد وجود علاقة بين حالة النفس من حيث الاتزان الانفعالي، والمزاج في اعتداله واضطرابه، وسلوك الإنسان من ناحية، وبين التغييرات الجوية من خلال تأثيرات كهربائية ومغناطيسية كونية يتفاعل معها عقل الإنسان والجهاز العصبي من الناحية الأخرى، وتكون المحصلة النهائية تغييرات بيولوجية في جسم الإنسان مع حرارة الصيف وبرد الشتاء، وكذلك تغييرات نفسية في عقله تبدو في صورة اعتدال أو اضطراب في المزاج وتوتر، أو استرخاء في الانفعال والسلوك.

وقد ثبت علمياً أن الجو الحار الرطب يرتبط ارتباطا مباشرا باضطراب الحالة العقلية، فالشخص العادي يصبح أكثر قابلية للتوتر وتسهل استثارته إذا كان متواجدا في

١) تعبير الرؤيا (مخطوط) (ص:١٠-١١).

طقس حار مشبع بالرطوبة، وكثير من الناس يفقدون السيطرة علي انفعالاتهم وينفذ صبرهم في هذا الطقس الذي يتميز به الصيف. كما أن الجو الحار ونسبة الرطوبة الزائدة تدفع غالبا إلى الكسل وتحدُّ من النشاط، وهذا ما نجده في البلاد الحارة، بينما يرتبط الجو البارد في البلاد الأخرى بالنشاط والحركة وزيادة الإنتاجية، لكننا نرى أن ذلك لا يجب أن نتخذ منه سببا نتعلل به لنبرر أن الدول المتقدمة لها مناخ بارد وأن حرارة الجو عندنا تمنعنا من الإنتاج و التقدم !!....

ومن المعروف أن المرضى الذين يعانون من الحمى وارتفاع درجة الحرارة تبدأ لديهم أعراض عقلية في صورة تخاريف وهلاوس!! وتتحسن حالتهم وتعود قواهم العقلية للوضع الطبيعي بمجرد انخفاض درجة الحرارة!

وفى المقابل فإن العلاج عن طريق رفع درجة الحرارة أو العلاج بالحمى قد استخدم في الماضي للمرضى الذين يعانون من بعض الأمراض العقلية المستعصية، وذلك بحقن ميكروب الملاريا حتى يصاب المريض بحمى متقطعة ثم العلاج بعقار الكينين فتتحسن حالتهم، كما أن العلاج بخفض درجة الحرارة أو التبريد قد استخدم في بعض الحالات العضوية والعقلية على حد سواء.

وقد وصف بعض علماء النفس حالات من الهستيريا مصحوبة بارتفاع في درجة حرارة الجسم تم شفاؤها وخفض درجة الحرارة بالعلاج النفسي، وفى الطب العربي يذكر الطبيب" ابن العباس المجوسي" (٣٨٤هـ) في كتابه "كامل الصناعة الطبية " نوعاً من الحمى أسماه " حمى الذبول " من أسبابها الهم والتعب والغم والغضب ونصح بأنه "ينبغي أن لا يدمن الإنسان الغم، ولا يستعمل الغضب، ولا يكثر من الهم والفكر"...

ومن الناحية العلمية فإن الأمر لا يخلو من قيام هذه العلاقة بين حرارة الجو والرطوبة من ناحية .. وبين زيادة حالات التوتر النفسي، وعودة نوبات المرض العقلي إلى الحالات التي لديها قابلية للإصابة به من الناحية الأخرى.

وتشير الإحصائيات حول أعداد المرضى العقليين المترددين على العيادات والمصحات النفسية في مختلف أوقات العام إلى الارتباط بين فصول السنة وبين زيادة أعداد الحالات، وتؤكد الأرقام أن شهور السنة التي تزيد فيها نسبة الرطوبة وترتفع درجة الحرارة ترتبط بمعدلات عالية من الاضطرابات النفسية".[1].

الثاني من وجوه الإعجاز:

ما يشير إليه الحديث الثاني من المخترعات العصرية، من وسائل المواصلات، وأجهزة الاتصال والتواصل، التي تحقق بها معنى التقارب في الزمان والمكان على حد سواء، فكلما طُوي المكان طُوي الزمان، فهما قرينان لا ينفكَّان ولا ينفصمان؛ لأنهما ظرفان لحدوث الأشياء، وقد كان هذا الحديث بالنسبة لأهل القرون الماضية من علامات الساعة التي لم تقع بعد، وها نحن نشاهدها وقد وقع شيء منها بسبب "ما حدث في زماننا من المراكب الأرضية والجوية والآلات الكهربائية التي قربت كل بعيد. والمعنى على هذا: يتقارب أهل الزمان؛ كقوله تعالى إخبارًا عن إخوة يوسف أنهم قالوا لأبيهم: { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا }[يوسف: ٨٢] ؛ يعني: واسأل أهل القرية وأصحاب العير، وكقوله ﷺ: "أيُّما قَرْيةٍ عَصَتْ اللهَ ورَسُولَهُ؛ فَإِنَّ خُمُسَها للهِ ولِرسُولِه "[2]...ونظائر ذلك كثيرة جدًا في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ولغة العرب.

والتقارب هنا ينطبق على سَيْر المراكب الأرضية في هذه الأزمان؛ فإنها تقطع مسافة السنة في شهر فأقل، ومسافة الشهر في جمعة فأقل، ومسافة الجمعة في يوم فأقل، ومسافة اليوم في ساعة فأقل، ومسافة الساعة في مثل احتراق السعفة، وبعضها أسرع

---

١) http://www.elazayem.com/a(٣٧).htm
موقع الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، مستشفى أبو العزائم للطب النفسى، الموسوعة النفسية، مجلة النفس المطمئنة، العيادة النفسية .بتصرف من مقال بعنوان:(جو الصيف الساخن والصحة النفسية)، للدكتور لطفي الشربيني، استشاري الصحة النفسية، نشر في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٣م.

٢)أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء (١٣٧٦/٣) رقم٤٧ - (١٧٥٦)من حديث أبي هريرة.

من ذلك بكثير، وأعظم من ذلك المراكب الجوية؛ فإنها هي التي قربت البعيد غاية التقريب؛ بحيث صارت مسافة السنة تقطع في يوم وليلة أو أقل من ذلك، وأعظم من ذلك الآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات؛ كالإذاعات، والتلفونات الهوائية؛ فإنها قد بهرت العقول في تقريب الأبعاد؛ بحيث كان الذي في أقصى المشرق يخاطب من في أقصى المغرب كما يخاطب الرجل جليسه، وبحيث كان الجالس عند الراديو يسمع كلام من في أقصى المشرق ومن في أقصى المغرب ومن في أقصى الجنوب ومن في أقصى الشمال وغير ذلك من أرجاء الأرض في دقيقة واحدة؛ كأن الجميع حاضرون عنده في مجلسه. فالمراكب الأرضية والجوية قربت الأبعاد من ناحية السير، والآلات الكهربائية قربت الأبعاد من ناحية التخاطب وسماع الأصوات، فسبحان من علَّم الإنسان ما لم يعلم".[1].

ولا شك أن هذا الإعجاز العلمي الذي تحقق به معنى الحديث بوجه من الوجوه؛ مما لم يشهده أهل القرون الأولى؛ قد أعاننا على فهم الحديث وبيان المراد منه.

"إن التقارب ما بين المدن والأقاليم والدول، وسرعة الوصول إليها بما يسر الله تعالى للبشر من صنع السيارات والطائرات ونحوها، وقد كان الناس قبلها يَقْسمون أسفارهم على مراحل وأيام، ويمكثون في الأسفار البعيدة أشهرا وأعواما، وكانت القوافل تسير من الأندلس وإفريقية وأقاصي آسية إلى بيت الله الحرام للحج، فتمكث أعواما قبل بلوغ مكة، ولا تبلغها إلا وقد مات كثير من أفرادها في الطريق من مشقته ومخاطره، حتى إن كثيرا ممن يبلغون مكة لا يعودون إلى ديارهم وأهليهم مرة أخرى؛ لما من رأوا من الأهوال في رحلة وصولهم إليها، ومن كتبوا عن رحلاتهم إلى الحج ذكروا عجائب في ذلك.

أما الآن فيَفِدُ الحُجاج إلى مكة من أقاصي الأرض فلا يمكثون في الجو إلا ساعات معدودة وإذا هم في البيت الحرام! فهذا من تقارب البلدان، وهو من معاني تقارب الزمان. وكان الناس إذا غاب غائبهم في رحلة حج أو تجارة أو طلب علم لا يصلهم خبره إلا بعد أشهر أو سنوات بكتاب يبعثه إليهم، أو من رآه يخبر عنه، ولا وسائل

١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود التويجري (١٩٥/٢).

للاتصال غير ذلك؛ حتى عقد الفقهاء أبوابا في الفقه للغائب وأحكامه إذا انقطعت عن أهله أخباره.

أما الآن فيتصل بهم، ويتصلون به متى أرادوا، فيسمعون صوته، ويعرفون أحواله، وإن شاءوا رأوه عِيانا وهو يكلمهم، وما عاد للبريد والرسائل قيمة تذكر أمام هذا الفتح العظيم من وسائل الاتصال، حتى إن الأجهزة الحديثة تظهر صورة المتصل، وتدل على مكانه، وهذا أيضا من تقارب الزمن، فوقع على ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام"[1].

ولا شك أن هذا المعنى من القِصر الحسي الذي لم يكن موجودا عند علمائنا القدامى، ولم يشعروا به؛ نظرا لعدم وجود أسبابه، وهو قصر بالإضافة إلى الآلة، لا في الواقع ونفس الأمر، وإن كان العلماء القدامى لم يذكروه نصا فقد ذكروه ضمنا. وهذا الوجه من الإعجاز غيبي وعلمي، وقد اعتبره بعض المعاصرين كالشيخ ابن باز(توفي:١٤٢٠هـ) هو الأقرب في تفسير التقارب المذكور في الحديث.[2].

كما اعتبره الشيخ محمد رشيد رضا(توفي:١٣٥٤هـ) أظهر من كل الوجوه، وأليق بكونه إخبارا عن غيب لا مجال للرأي فيه، ولا يعرف إلا بوحي من الله تعالى.[3].

قلت: وبعض المعاصرين يربط بين هذا المعنى وبين ما ذكره علماؤنا القدامى من أنه كناية عن محق بركة الوقت، ولا يفرِّق بينهما. وهذا خطأ بيِّن.

فإن محق البركة شيء، واختصار الوقت شيء آخر. الأول معنوي له أسباب مختلفة، والثاني حسي سببه الآلة.

ولا ينبغي أن يقال: إن محق البركة ناشئ عن المعاصي فحسب؛ فإن هذا التأويل يدحضه؛ فإنه وإن كان يتناسب مع كثرة الفساد والمعاصي في زماننا، إلا أنه غير

---

١)http://www.alukah.net/sharia/٠/١٣٠٠

موقع شبكة الألوكة، مقال بعنوان: (الأشراط الصغرى للساعة)، للشيخ إبراهيم الحقيل، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٧/٩/٨م- ١٤٢٨/٨/٢٦ هـ.

٢) في تعليقه على فتح الباري (٥٢٢/٢).

٣) بتصرف، نقلا عن: أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين للدكتور سليمان الدبيخي(ص:٥٩٨).

متناسب مع ما نلاحظه بالفعل، بل الملاحظ عكسه؛ لأن ما نشاهده ونشعر به في زماننا أن القدرة على الانتفاع بالوقت بسبب كثرة الاختراعات التي تختصر الوقت والجهد قد زاد عن الأزمنة السابقة، فالسفر الذي كان يستغرق في الماضي أياماً، أصبح في عصرنا يستغرق ساعات معدودات!!

ولا شك أن المخترعات الحديثة التي توفر الوقت والجهد يستوي في الانتفاع بها العصاة وغير العصاة!

الثالث من وجوه الإعجاز:

ما يشير إليه الحديث الثاني أيضا، من تقارب الزمان حقيقة تقاربا حسيا، وذلك بنقصه وقِصره عما هو معتاد، وذلك في آخر الزمان، نتيجة لسرعة دوران الأرض.

وقد حدث هذا في أول الخلق[1]، وسيحدث في منتهاه، وهذا ما تؤكده الحقائق العلمية، والنظريات الكونية، وقبل ذلك الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

وهذا التناقص الحقيقي للزمن يقرر أن هناك تغيرا كونيا سيعصف بالكرة الأرضية يؤثر في جيولوجيتها وفي نمط سيرها حول نفسها وحول الشمس.

"ووَفْق مستجدَّات العلم يمكن تصور ذلك في حال اضطراب حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، وهذا الاضطراب غير متَّزن، أي لا يكون على نسق واحد،

١) "لقد كانت الأرض في بداية الخلق تدور حول محورها بسرعة رهيبة، وقد أثبت ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)} [الأعراف: ٥٤]. فالدلالة الواضحة للآية الكريمة هي التسارع الشديد في حركة تتابع الليل والنهار، أي حركة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في بدء الخلق والتي لا بد أن تكون سريعة متعاقبة، بمعدلات أعلى من سرعتها الحالية، وإلا ما غشي الليل النهار يطلبه حثيثا...وقد وصل عدد أيام السنة في لحظة تيبُّس القشرة الخارجية للأرض، أي قريبا من بداية خلقها على هيئتها الكوكبية قبل(٤,٦٠٠) مليون سنة (٢٢٠٠) يوم تقريبا. وهذه الأيام كانت قصيرة المدى جدا، فلم يكن طول الليل والنهار معا يصل إلى حوالي الأربع ساعات، ومعنى هذا الكلام أن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس كانت ستة أضعاف سرعتها الحالية". السماء في القرآن للدكتور زغلول النجار(ص:١٧٥-١٧٧) بتصرف .

فتسرع الأرض في دورانها حول نفسها، وتسرع أيضا في دورانها حول الشمس، فبدلاً من أن تدور الكرة الأرضية حول الشمس، مرة كل اثني عشر شهراً، تقضي هذه المسافة في شهر واحد.

ويرى البعض أن هذه النِّسب الزمنية المذكورة في الحديث إنما هي للتقريب وليس للتحديد؛ أي أراد النبي ﷺ أن يبين للصحابة تغير النسب الزمنية للوقت، فجاء بمثال يقرب المعنى، حيث قال: السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع ..الخ.[1].

وإذا ربطنا هذه العلامة بما يقع في زمن الدجال ؛حيث يكون يومه الأول كسنة، ويومه الثاني كشهر؛ أصبح عندنا تصور أن آخر مراحل اضطراب الكرة الأرضية يكون في عهد الدجال، أي أن الكرة الأرضية في بادئ الأمر ونتيجة لأمر كوني تسرع في دورانها حول نفسها وفي دورانها حول الشمس، ثم تأخذ بالبطء في دورانها حول نفسها، فتكمل دورتها الأولى في سنة كاملة، ودورتها الثانية في شهر، ثم تبدأ في العودة التدريجية لوضعها الطبيعي، وتبدأ بالاتزان.

ومثل هذا غير مستبعد؛ لأن الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى، وما أَلِفْناه بالنسبة لحال الأرض قد يتغير بكل لحظة، وقد مر على الكرة الأرضية تغيرات كبيرة في الدهور السحيقة، وقد يقع مثلها في المستقبل، فالأمر ليس ببعيد، وتوقعات العلماء لا تستبعده".[2].

أما حديث الدجال فهو ما رواه النوَّاس بن سمعان(توفي حوالي:٥٠هـ)، رضي الله عنه: "أنَّ النبيَّ – ﷺ– ذكر الدجَّال، قال النوَّاسُ: قلنا: يا رسول الله: وما لُبْثُه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامِه كأيامِكُم. قلنا:

---

١)أرى أن حملها على المعنى الحقيقي وهو التحديد أولى من حملها على معنى التقريب إذ هو الأصل، ولا موجب للعدول عنه. والله أعلم.

٢) http://rasaelnoor.blogspot.com/٢٠١٢/٠٥/blog-post_٨٨٠٣.htm

بتصرف، موقع رسائل النور، موقع يتضمن دراسات د. محمد أحمد المبيض، في الفتن والملاحم.

يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنةٍ، أَتَكْفِينا فيه صلاةُ يومٍ؟ قال: لا، اقْدُروا له قَدْرَه."[1].

ففي هذا الحديث ما يدل صراحة على أن الزمان يطول على الحقيقة، وإذا كان من الممكن طول الزمان وهو كذلك،كان من الممكن قِصره، وهو ما دل عليه صراحة حديث تقارب الزمان، حسبما صرحت بذلك بعض رواياته المفسِّرة، وهو يؤكد ما ذكرناه من أن هناك اضطرابا هائلا سوف يحدث في النظام الكوني قرب قيام الساعة.

ومما يدل على أن الطول المذكور في زمان الدجال حقيقي لا مجازي، كما فهمه البعض؛ قوله ﷺ في نفس الحديث: "وسائرُ أيَّامِه كأيَّامِكُمْ". وكذلك سؤال الصحابة النبي-ﷺ- عن كيفية الصلاة في هذا اليوم الذي يطول حتى يكون كسنة، وجوابه لهم بقوله: "اقْدُروا له قَدْرَه" ؛كل ذلك يدل على فهم الصحابة الطول على ظاهره، وموافقته -ﷺ- لهم على هذا الفهم.[2].

وأما كيفية وقوع هذا الطول من الناحية العلمية، فأدهشني ما ذكره القرطبي(توفي:٦٥٦هـ)في شرح الحديث، وكأنه يستشرف الغيب ليقرر ما قرره علماء عصرنا، إذ يقول: "ظاهر هذا: أن الله تعالى يخرق العادة في تلك الأيام، فيبطئ بالشمس عن حركتها المعتادة في أول يوم من تلك الأيام، حتى يكون أول يوم كمقدار سنة معتادة، ويبطئ بالشمس حتى يكون كمقدار شهر، والثالث حتى يكون كمقدار جمعة، وهذا ممكن، لا سيما وذلك الزمان تنخرق فيه العوائد كثيرا".[3].

---

١)أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (٤/٢٢٥٠) رقم ١١٠ - (٢٩٣٧).

٢)ينظر: إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم (٨/٤٨٣)، شرح النووي على مسلم (١٨/٦٥).
وقد تأوله أبو الحسين ابن المنادِي - على ما حكاه أبو الفرج الجوزي - فقال: "المعنى: يهجم عليكم غمٌّ عظيم لشدة البلاء - وأيام البلاء طوال - ثم يتناقص ذلك الغمُّ في اليوم الثاني، ثم يتناقص في الثالث، ثم يُعتاد البلاء، كما يقول الرجل: اليومُ عندي سنةٌ. كما قال: وليلُ المحبِّ بلا آخِر. قال أبو الفرج: وهذا التأويل يردُّه قولهم: أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: "لا، اقْدُروا له قَدْرَه" والمعنى: قدِّروا الأوقات للصلاة". المفهم (٧/٢٨٠).

٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/٢٧٩-٢٨٠).

ويؤكد الدكتور زغلول النجار ما ذكره القرطبي(توفي:٦٥٦هـ) مع اختلاف في العبارة واتفاق في المعنى، فيقول: "ومن الأمور العجيبة أن يأتي العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين ليؤكد أنه قبل تغيير اتجاه دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ستحدث فترة اضطراب؛ نتيجة لتباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها، وفي فترة الاضطراب تلك ستطول الأيام بشكل كبير، ثم تقصر، وتنتظم بعد ذلك".(١).

وأما كيفية وقوع القِصر – وهو المشار إليه بالتقارب – من الناحية العلمية، فإنه على العكس من ذلك، ينشأ نتيجة لقرب الأرض من الشمس، وسرعة دورانها حولها، وفقا لنسبية الزمن التي تحددها مقدار القوة المحرِّكة والمسافة والسرعة.

يذكر الدكتور أحمد شوقي إبراهيم "أن الشمس ستكون قرب نهايتها نجما عملاقا شديد الجاذبية، يجذب الأرض نحوه فتقرب الأرض من الشمس، فيتسارع دورانها حول الشمس، فكلما قرب الكوكب من الشمس ازدادت سرعة دورانه، فعطارد أقرب الكواكب إلى الشمس؛ لذلك يدور دورة كاملة حول الشمس كل ثلاثة شهور، وبلوتو أبعد الكواكب عن الشمس؛ لذلك يدور دورة كاملة حول الشمس كل(٢٥٠ سنة).

فعندما تنجذب الأرض في المستقبل – قرب قيام الساعة في زمن حدده الله عز وجل– وتقرب من الشمس جدا، فسوف تتسارع في دورانها حول الشمس، وتصير السنة على الأرض كالشهر، ويصير الشهر كالأسبوع، ويصير الأسبوع كاليوم، ويصير اليوم كالساعة".(٢).

ويفسر البعض هذا التناقص الزمني بناء على نظرية اتساع الكون، فيقول:"إن هذا التناقص في مقدار وحدات قياس الزمن أمر كوني لا مَحِيدَ عنه، فقد قال الفيزيائي

---

١) السماء في القرآن الكريم (ص:١٧٨).

٢) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، د. أحمد شوقي إبراهيم(١٠٥/٣) بتصرف.
وينظر للمزيد:
http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=٠٣-٠٢-٠٠٦٦
= موقع بيان الإسلام، مقال بعنوان: (الطعن في حديث تقارب الزمان)، نشر بتاريخ ٢٢نوفمبر(تشرين الثاني)٢٠١٣م.

الشهير(أينشتين)(١٩٥٥م)في نظرية النسبية العامة سنة١٩١٦م بأن كل الظواهر ذات دور ينخفض مقدار دورها الزمني عند ابتعادها عن كُتَل المادة.

وفي سنة١٩٢٩م أثبت الفلكي الأمريكي(هابل) (توفي:١٩٥٣هـ)بالقمرين الصناعيين(هابل وشاندرا) التأكد بأن اتساع الكون في تسارع أي بسرعة متزايدة، إذن فمجرَّة درْب التبَّانة التي تحتضن الأرض وكل المجموعة الشمسية متسارعة الابتعاد عن باقي كُتل المجرَّات الأخرى بفعل اتساع الكون، وعليه فأي حركة التفاف أو دوران داخل المجموعة الشمسية سيتناقص مقدار دورها بصورة فائقة، الأمر الذي سيجعل مقدار السنة والشهر واليوم وكل وحدة يقاس بها الزمن في تناقص سريع. فالأيام والشهور والسنوات القادمة أقل من التي مضت، وكأن المستقبل يقترب أكثر فأكثر"![1].

إن من الثابت علميا أن دوران الأرض حول نفسها وحركتها الدائمة ينتج عنها أمران، أولهما: تعاقب الليل والنهار. والآخر: تحديد مدة اليوم على الأرض. ولا شك في أن هذه الحركة إذا كانت سريعة ستكون مدة الليل والنهار قصيرة، (وهو ما يسمى بتقارب الزمان)، وإذا كانت بطيئة ستكون مدة الليل والنهار طويلة.

لكن هل الطول والقِصر في هذا الزمان يكون بالزيادة والنقصان في عدد الساعات، أم كيف يكون؟

يجيب عن هذا الكشميري(توفي:١٣٥٣هـ) إجابة علمية شافية، فيقول: "وقيل: المراد به قِصر الزمان في نفسه، فتكون ساعتنا اليوم أقصر مما كانت فيما مضى، وبهذا الحساب فلْيُقَسْ اليوم، والأسبوع، والشهر، والسنة.

لا يقال: إن مقدار اليوم الآتي أيضاً بأربع وعشرين ساعة،كما كان، فلو حملنا التقارب على قصر الأيام في أنفسها، لزم أن تكون الأيام في زماننا بعشرين ساعة، مثلاً، لأنا

---

(١) http://www.phys٤arab.net/vb/showthread.php?t=٢٤٦٤
موقع ملتقى الفيزيائيين العرب، مقال بعنوان: (اتساع الكون وتقارب الزمن)، نشر بتاريخ٢٢/١١/٢٠٠٥م.

نقول: المراد من قِصر الأيام قِصر الساعات أيضاً ولو كان باعتبار الكمية، لا قِصرها بمعنى نُقصانها، من حيث العدد.

وتلك الساعات لما قَصُرت لزمَ قِصر الأيام لا محالة، وكذلك قِصر الشهر والسنة، وإنما لا حسَّ لنا بذلك، لأن السبيلَ إلى معرفة الطُّولِ والقصر كانت تلك الساعة، فلما قصرت هي بعينها، مع بقاء أعدادها؛ اشتبه الحال، والتبس طول الأيام الماضية من قصر الأيام الحاضرة. ولا استحالة فيه عند سلطان العقل أيضاً؛ لأنه ثبت اليوم أن كل شيء فيه الاندراس، لا بد له أن يتدرج إلى الاختتام يوماً ما. وبهذا استدل جالينوس(توفي:٢٠٠هـ) على حدوث العالم، فإنه لما رأى فيه أمارات الاندراس، ذهب إلى حُدُوثه لا محالة، كذا في "شرح عقائد الجلالي".

أما حديث الفلاسفة من دوام الأجرام الأثيرية، وعدم تغيُّرها، فحمقٌ جلي، وقد ثبت اليوم خلافه بالمشاهدات، ثم إن أرسطا طاليس(توفي:٣٢٢ق م) قد أنكر كون المادة للمسوات (كذا)، فهي عنده صور جسمية فقط، وإنما المادة عنده فيما فيه الاستحالة، وما لا استحالة فيه لا مادة فيه، ولما اختار استحالة الخرق والالتئام في السموات لم يضع فيها مادة أيضاً، وإنما قال بها ابن سينا(توفي:٤٢٨هـ) فقط، وحينئذ فالحديث محمول على حقيقته".[1].

وقد أجاب ابن العربي(توفي:٤٥٣هـ) على شبهة حاصلها:" في هذا الحديث...إبطال للهيئة، وإفساد للطبيعة، وتغيير للتكوين الذي به قامت الخليقة...!

فقال: اتئدوا، فإنكم نظرتم إلى جريان اليوم في المخلوقات، وأغفلتم النظر في قدرة الخالق، وما له من الحِكَم في المصنوعات، ثم أجاب على هذا الإشكال من وجوه، فقال:

الأول: قد تقرر عقلا وشرعا، وثبت دليلا أن الباري تعالى خالق كل شيء، لا يشذ ذرة عن خلقه، فما كان من سبب أو مسبب، أو علة ومعلول فإنه فطره وأنشأه، وكون ذلك كله على هذا النظام المشاهَد ليس بواجب لا يمكن سواه، بل هو على مَجْرى الإرادة وبعض العادة.

---

١) فيض الباري شرح البخاري (٦/١٣٣-١٣٤).

الثاني: أن عاقبة الشمس والقمر التكوير، وآخر السموات والأرض الانفطار والتدمير، وكما يُعْدِمُها خالقها فلا تسير، يجوز أن يبطئها عن سرعتها وينقص من حركاتها، فما كانت تقطعه في يوم تقطعه في جمعة، ثم في شهر، ثم في سنة، أو بعكسه، وهذا قريب ممن وفقه الله لعلمه".[1].

وجهان جديدان للإعجاز

ورد في بعض ألفاظ الحديث عند البخاري:"لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يُقْبضَ العلمُ، وتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، ويتَقاربَ الزَّمانُ...". وهذا اللفظ يكشف عن وجهين جديدين من وجوه الإعجاز في المسألة.

فبغضِّ النظر عن تعيين الوقت الذي يقع فيه تقارب الزمان، وهل هو عند طلوع الشمس من مغربها أو قبله؛ فإن العلامات الواردة في هذا الحديث كلها قد وقع شيء منها – كما مر معك من قبل – وإن كانت لم تصل إلى حد الاستحكام، بحيث لا يكون معها ما يقابلها، على حد تعبير الحافظ ابن حجر(توفي:٨٥٢هـ).

وإذا كان الأمر كذلك فما المانع من أن يقع من تقارب الزمان شيء كأخواته المذكورات معه في سياقه؟!

إن هذا ما وقع فعلا، وما أثبته العلم الحديث، وذلك بسبب كثرة الزلازل العنيفة التي هزَّت الكرة الأرضية، وأثَّرت في ميلها عن محورها، مما أدى إلى قِصر زمان اليوم بعض أجزاء من الثانية.

إن الإعجاز هنا يكمن في التناسق والتناغم الزمني والكَمِّي والكيفي بين العلامات المذكورة في الحديث، حيث وقعت العلامات جميعها على هذا النحو. هذا وجه.

والوجه الآخر: ذِكْر كثرة الزلازل مقدَّما على تقارب الزمان، دون غيره من العلامات[2]، وهو سببه ومنشؤه!!

---

١) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (٩/٨٥-٨٦) بتصرف.

٢) هي كذلك في أصح الروايات، وهي رواية البخاري. ووقع في بعض الروايات بتقديم تقارب الزمان على كثرة الزلازل، وفي بعضها بتقديم ظهور الفتن، وفي بعضها بتقديم قبض العلم، وفي بعضها بتقديم كثرة الكذب على تقارب الزمان.

وقد نشر موقع (اليوتيوب) تقريرا علميا متلفزا عن كثرة الزلازل وأثرها في تقارب الزمان، مما يؤكد هذا الإعجاز، وأنا أُورد هنا خلاصة ما جاء فيه.

أولا: زلزال (سومطرا) المدمر الذي ضرب المحيط الهندي في (٢٠٠٤/١٢/٢٦م) كارثة طبيعية، حذفت أجزاء من المليون من الثانية من يوم الأرض، فقد كان قويا جدا لدرجة أنه سرَّع دوران الأرض – كما يقول علماء فيزياء الأرض – الزلزال القوي – حرفياً – هزَّ الكوكب عن محوره.
كما يقول (ريتشارد جروس) وزملاؤه من (وكالة ناسا الفضائية): إنهم يقدِّرون أن الأرض مالت حوالي (٢,٥سم) بعد الهزة.

ثانيا: زلزال (تشيلي) (٢٠١٠م) كان قويا جدا؛ لدرجة أنه حرَّك كتلة هائلة على الكوكب، تقدرها الجهات الحكومية بأنها قد حركت الأرض عن محورها بحوالي (٣ إنش) = (ما يعادل٧,٦سم)، ونتيجة لذلك قصَّرت طول اليوم على الأرض ببضع المليونات من الثانية.

ثالثا: زلزال (اليابان) (٢٠١١م) كان قويا جدا لدرجة أنه حرَّك سواحل اليابان، وغيَّر اتزان الكوكب.
يقول العلماء: إنه بسبب الزلزال أصبحت اليابان أكثر عَرْضا من السابق، ويُعتقد أن الزلزال قد قصَّر اليوم في طول الأرض ببضع المليونات من الثانية، وقد انحرفت الأرض عن محورها قليلا.
تقول (الأسوشايتد برس) = (وكالة أنباء أمريكية)، وعلماء فيزياء الأرض بـ(ناسا): إن قوة الزلزال قد سبَّبت انحراف كتلة الأرض، وقد سرَّعت دوران الأرض بحوالي(١,٦مايكروثانية).[1].

(١) http://www.youtube.com/watch?v=ʌHwsQxzHBbo
موقع اليوتيوب، مقطع بعنوان: (انحراف محور الأرض وتقارب الزمان)، نشر بتاريخ ٢/٥/٢٠١٣م.

لا يبقى بعد ذلك إلا أن نقول: إن "تقارب الزمان" بمعنى قِصره في نفسه ؛حقيقة علمية، يقر بها العلماء.

وقد نبَّه إليها النبي العربي الأمي محمد بن عبد الله ﷺ قبل أن تعرفها البشرية بقرون، وهو ما يُعَدُّ معجزة علمية خالدة شاهدة بصحة نبوته وصدق رسالته.

كما نبههم إلى اختراع الآلات التي تختصر الزمان، وتقرب البعيد، في وقت كان مجرد تصور هذا يعد ضربا من الجنون.

كما لفت الأنظار إلى جانب دقيق من جوانب النفس الإنسانية، وهو عالم الرؤيا وعلاقته بالعالم الداخلي والخارجي للإنسان، وعلاقة الجسد بالنفس، والطبيعة بالإنسان، وانعكاساتها على مستبطَنات عقله، ومكنونات نفسه.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي العربي الأمي، الذي ألهمته وعلمته، فألهم العلماء، وعلَّمهم، وعلى آله وصحبه الهداة المهديين، والحمد لله رب العالمين.

خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات

أما أهم النتائج فيمكن إجمالها فيما يأتي:

أولا: تقارب الزمان تكرر ذكره في الحديث في بابين هما: باب الرؤيا، وباب الفتن.

ثانيا: أن التقارب في لغة العرب خلاف التباعد، وهذا المعنى غير كافٍ في فهم المراد من الحديث إلا بالرجوع إلى أقوال الشراح.

ثالثا: أن التقارب عند شراح الحديث اختُلف فيه بحسب مورده، فما ورد في باب الرؤيا فالراجح فيه تقارب الساعة، ثم تقارب الليل والنهار يعني استواءهما واعتدالهما. وما ورد في باب الفتن فالراجح فيه المعنى الحقيقي لتقارب الزمان، وهو القِصَر الحسي.

رابعا: من أسرار الإعجاز العلمي لتقارب الزمان في حديث الرؤيا؛ ما يشير إليه الحديث من قوة الرؤيا وصحتها وسلامتها عند اعتدال الزمان، وأثر اعتدال الزمان على مِزاج الإنسان، وما يتبع ذلك من أثر في كونها رؤيا يمكن تأويلها، أو مجرد أضغاث وتهاويل لا معنى لها ولا تأويل. وهذا ما نبه عليه أهل العلم بالرؤيا، ووافقهم عليه أهل الطب والحكمة، وأكده العلم الحديث.

خامسا: من أسرار الإعجاز العلمي لتقارب الزمان في حديث الفتن؛ ما يشير إليه الحديث من المخترعات العصرية، من وسائل المواصلات، وأجهزة الاتصال والتواصل التي تحقق بها معنى التقارب في الزمان والمكان على حد سواء.

سادسا: من أسرار الإعجاز العلمي لتقارب الزمان في حديث الفتن أيضا؛ ما يشير إليه الحديث، من تقارب الزمان حقيقة تقاربا حسيا، وذلك بنقصه وقِصره عما هو معتاد، وذلك في آخر الزمان، نتيجة لسرعة دوران الأرض.

سابعا: من أسرار الإعجاز العلمي لتقارب الزمان في حديث الفتن أيضا؛ ارتباط كثرة الزلازل بتقارب الزمان، كما يشير إليه ذكر كثرة الزلازل مقدما عليه في رواية البخاري، دون غيره من العلامات، وهو سببه ومنشؤه، وهذا ما تؤكده كثرة الزلازل العنيفة التي

هزَّت الكرة الأرضية، وأثَّرت في ميلها عن محورها، مما أدى إلى قِصر زمان اليوم بعض أجزاء من الثانية.

وأما أهم التوصيات فيمكن إجمالها فيما يأتي:

أولا: ضرورة العناية بهذا الجانب الأهم من جوانب البحث في السنة النبوية، فقد باتت الحاجة إليه مُلِحَّة في ظل التطور العلمي الهائل، وسعي الناس إلى التفكير في مدى إمكانية مسايرة هذا التطور للدين أو انفصامه عنه.

ثانيا: ضرورة أن تتبنى أقسام السنة النبوية في الجامعات الدعوة إلى عقد مؤتمرات علمية لاستكتاب الباحثين في هذا المجال، وحبذا لو بدأت جامعة الأزهر الشريف بهذا.

ثالثا: تخصيص مادة تدريسية لطلبة الدراسات العليا في قسم السنة تسمى مادة(الإعجاز العلمي في السنة النبوية) لنشر هذه الثقافة بين الطلاب، وتشجيعهم على البحث فيها.

رابعا: عقد دورات وورش عمل في قضايا الإعجاز العلمي من منظور السنة النبوية، ومد أواصر التعاون مع الهيئات ومراكز الأبحاث العلمية المعنية بهذا المجال؛ من خلال التحقيق الحديثي للنصوص المشتملة على جوانب الإعجاز، من جانب أقسام السنة، والتحقيق العلمي لها من جانب الهيئات العلمية، وبهذا تتكامل الجهود، وتتفادى أوجه التقصير.

خامسا: نشر دوريات محكَّمة تُعْنَى بالبحوث الإعجازية في السنة النبوية بالتعاون مع الهيئات العلمية، وتوزيعها على الباحثين؛ لتغذية ملكاتهم البحثية في هذا المجال، من خلال الاطلاع على البحوث المنشورة في هذه الدوريات.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لحمود التويجري، ط دار الصميعي، الرياض، ط الثانية، ١٤١٤ هـ.
- أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة، للدكتور سليمان بن محمد الدبيخي، ط دار المنهاج، الرياض، ط الأولى،١٤٢٧هـ.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الإشارات في علم العبارات، لخليل بن شاهين الظاهري، دار الفكر، بيروت.
- أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، للرامهرمزي، بتحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام، ط مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، بتحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، بتحقيق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، ط المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط الثانية، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- تصحيفات المحدثين، للعسكري، بتحقيق: محمود أحمد ميرة، ط المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٢هـ.
- تعبير الرؤيا (مخطوط)، لإبراهيم بن يحيى بن غنام أبي طاهر الحراني المقدسي النميري الفقيه الحنبلي المعَبِّر (المتوفى: نحو ٧٧٩هـ)، صورة مخطوطة - مكتبة الجامعة الأردنية، مرقم آليا(عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث).
- تفسير الأحلام = منتخب الكلام في تفسير الأحلام (مطبوع بهامش تعطير الأنام في تعبير المنام للنابلسي)، ينسب لمحمد بن سيرين،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

سنة الطبع: ١٣٥٩ – ١٩٤٠ م
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي، بتحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٥ هـ — ١٩٩٥م.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ — ١٩٨٦.
- الحاوي في الطب، لأبي بكر الرازي، اعتنى به: هيثم خليفة طعيمي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- روح البيان، لإسماعيل حقي، ط دار الفكر، بيروت.
- السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ط دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- سنن الترمذي، بتحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لأبي عمرو الداني، بتحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، بتحقيق: غريد الشيخ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- شرح السنة، للبغوي، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطال، بتحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، بتحقيق: أحمد شاكر، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط الأولى، ١٤١٨ هـ.
- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.
- شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، ط دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- صحيح البخاري، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني، ط المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، ط دار الهلال، بيروت.
- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لابن العربي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، نشر دار الباز.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشرف الحق الصديقي العظيم آبادي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥ هـ.
- غريب الحديث، للخطابي، بتحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، ط دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري جار الله، بتحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعرفة، لبنان، ط الثانية.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .
- الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، بتحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
- الفوائد، لتمام، بتحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢هـ.
- فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي، بتحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، ط دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط الأولى، ١٣٥٦هـ.
-القاموس المحيط، للفيروز أبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- القانون في الطب، لابن سينا، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي.
-كتاب التعريفات، للشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء،ط دار الكتب العلمية، بيروت،ط الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
-كتاب الفتن، لنعيم بن حماد، بتحقيق: سمير أمين الزهيري، ط مكتبة التوحيد، القاهرة، ط الأولى١٤١٢هـ.
- كتاب المواقف، للإيجي، بتحقيق: د. عبد الرحمن عميرة،ط دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوى، ط مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦ م
-كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، بتحقيق: علي حسين البواب، ط دار الوطن، الرياض.
-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، بتحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، ط مؤسسة الرسالة، ط الخامسة،١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، بتحقيق: حسام الدين القدسي، ط مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- مدارج السالكين، لابن القيم،ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، بإشراف: د. يوسف المرعشلي، ط دار المعرفة، بيروت.
- مسند الإمام أبي حنيفة رواية أبي نعيم، بتحقيق: نظر محمد الفاريابي، ط مكتبة الكوثر، الرياض، ط الأولى، ١٤١٥ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وفريقه، وإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- مسند الشهاب، للقضاعي، بتحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٦م.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، ط المكتبة العتيقة ودار التراث.

- المصنف، للصنعاني، بتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط المجلس العلمي، الهند، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.
- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، للخطابي، ط المطبعة العلمية، حلب، ط الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
- المعجم الأوسط، للطبراني، بتحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن إبراهيم،ط دار الحرمين، القاهرة.
- معجم الفروق اللغوية، للعسكري، بتحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط الأولى، ١٤١٢هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المغرب في ترتيب المعرب، لابن المطرز، بتحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، ط مكتبة أسامة بن زيد حلب، ط الأولى، ١٣٩٩ هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، بتحقيق: محيي الدين ديب مستو، ويوسف علي بدوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزال، ط دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.
- موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، د. أحمد شوقي إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٣م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، بتحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، بتحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط دار الجيل، بيروت، ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=٠٣-٠٢- ٠٠٦٦

http://www.elazayem.com/a(٣٧).htm

http://www.alukah.net/sharia/٠/١٣٠٠.

http://www.phys٤arab.net/vb/showthread.php?t=٢٤٦٤

http://www.youtube.com/watch?v=٨HwsQxzHBbo

http://rasaelnoor.blogspot.com/٢٠١٢/٠٥/blog-post_٨٨٠٣.html

http://cupping.khayma.com/fourmix.htm

http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/fi%٢٠attourate%٢٠attibi/Menu١.php

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــوع الصفحة

١-
مقدمة.....ص١٦١
٢- أولا: الأحاديث التي وقع فيها الكلام عن تقارب الزمان.....ص١٦٤
٣- ثانيا: مفهوم تقارب الزمان في لغة العرب.....ص١٦٨
٤- ثالثا: المراد من تقارب الزمان في الحديث الشريف في ضوء فهم شُرَّاحه ص١٧٠
٥- أولا: اقتراب الزمان في حديث الرؤيا..... ص١٧٠
٦- تعقيب..... ص١٧٦
٧- ثانيا: تقارب الزمان في حديث الفتن.....ص١٧٩
٨- تعقيب.....ص١٨١
٩- رابعا: أسرار الإعجاز في تقارب الزمان.....ص١٨٦
١٠- الأول من وجوه الإعجاز.....ص١٨٦
١١- الثاني من وجوه الإعجاز.....ص١٩٣
١٢- الثالث من وجوه الإعجاز.....ص١٩٦
١٣- وجهان جديدان للإعجاز.....ص٢٠٢
١٤- خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.....ص٢٠٥

١٥- قائمة المصادر

والمراجع.....ص٢٠٧

١٦- فهرس

الموضوعات.....ص٢١٤